شبكة الألوكة
www.alukah.net

أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ

حامد شاكر العاني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السلسلة التربوية

أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ

إعداد

حامد شاكر العاني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

المقدمة

(أَنزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ) [1]

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على النبي المصطفى الأمين، وعلى آله وصحابته الأبرار الأخيار أجمعين، ومن سار على نهجهم إلى يوم المآل والدين.

وبعد: فنحن في هذه العجالة البسيطة نريد أن نبيِّن حقيقةً لا مهرب منها أن الله سبحانه وتعالى جعل قَدَرَهُ في الإنسان الذي أكرمه بالعقل والحكمة، وأوكل إليه أموراً ومهاماً خطيرةً في بناء الحياة وعمارتها، وكلٌّ حسب توجهه وقدرته وطاقته، وجعل الدائرة مكتملة، لتستقيم الحياة حتى نهايتِها، فكلُّ واحد منهم يُكَمِّلُ الآخر، وهذا الأمر قديم قدم خلق الإنسان، وسيستمر إلى قيام الساعة، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [2]، وهذا التقويم الرباني لغرض عمارة الأرض وازدهارها وبنائها، وعمارة الأرض لا تتم إلاَّ بعقول سليمة وقدرة متميزة خالية من الغش والتلاعب والظلم.

والعقل السليم هو الذي تقوم عليه الحياة، قال الله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشدَّ مِنْهُمْ قُوَةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا﴾

---

(1) عن ميمون بن أبي شبيب (رحمه الله) أن عائشة رضي الله عنها مَرَّ بها سائل فأعطته كِسْرَةً ، ومَرَّ بها رجلٌ عليه ثيابٌ وهيئةٌ ، فأقعدته فأكل ، فقيل لها في ذلك ؟ فقالت : قال رسول الله ﷺ : « **أنزلوا النَّاس منازلهم** » . رواه أبو داود في سننه في الأدب برقم (4842) بسند ضعيف لانقطاعه وتدليس حبيب بن أبي ثابت أحد رواته ، لكن قال : ميمون لم يدرك عائشة .

وقد ذكره مسلم (رحمه الله) في أول صحيحه (ج1ص6) تعليقاً ، فقال : وذكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : أمرنا رسول الله ﷺ أَنْ نُنْزِلَ الناسَ منازِلَهم ، وذكره الحاكم أبو عبد الله في كتابه (معرفة علوم الحديث) ص (49) ، وقال : هو حديث صحيح ولكن الحاكم لم يذكر له سنداً . انظر : رياض الصالحين ص 148 . وبين الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم : ج1 ص 62 قال : (وذكر أن الراوي له عن عائشة ميمون بن أبي شبيب ، لم يدركها ، وفيما قاله أبو داود توقف ونظر ، فإنه كوفي متقدم قد أدرك المغيرة بن شعبة ، ومات المغيرة قبل عائشة رضي الله عنها ، وعند (مسلم) التعاصر مع إمكان التلاقي كافٍ في ثبوت الإدراك ، فلو ورد عن ميمون هذا أنه قال : لم ألق عائشة أو نحو هذا لاستقام لأبي داود الجزم بعدم إدراكه ، وهيهات ذلك ، والله أعلم) .

(2) سورة التين : 4 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

[3]، والحاجة تدعو إلى أن يُصنَّف الناس إلى أصناف شتى، كلٌّ حسب اختصاصه وعمله وقدرته وعلميته، لهذا تطلب منّا تبيان حقيقة ما نقول، ليتعلم كلُّ مسلم من هذه الموعظة كيف يُنزل الناس منازلهم، وهذا من باب أولى؛ ليتحقق الاحترام المتبادل والأمثل، وتسير الحياة نحو العطاء والبناء والرقي والتقدم.

هذا هو الغرض من إعداد هذا البحث الميسر ذي الأسلوب البسيط، ولما سئل الحسن بن علي ﷺ عن الناس، قال: **(الناس ثلاثة: رجل، ونصف رجل، ولا رجل، فأما الرجل، فذو الرأي والمشورة، وأما الرجل الذي هو نصف رجل، فالذي له رأي ولا يشاور، وأما الذي ليس برجل، فالذي ليس له رأي ولا يشاور)** [4].

وقال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم: **(قال (رحمه الله): وقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نزل الناس منازلهم، هذا الحديث قد تقدم بيانه في فصل التعليق من الفصول المتقدمة واضحاً ومن فوائده تفاضل الناس في الحقوق على حسب منازلهم ومراتبهم، وهذا في بعض الأحكام أو أكثرها، وقد سوى الشرَّع بينهم في الحدود وأشباهها مما هو معروف والله أعلم)** [5].

وبحثنا هذا يتألف من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تصنيف الناس إلى مراتب.

المطلب الثاني: الميزان الذي تزن به الناس.

المطلب الثالث: الدمَّار والخراب في عدم إنزال الناس منازلهم.

هذا... ونسأله تعالى أن يوفقنا على إعطاء الموضوع حقه ومستحقه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وبارك على النبي محمد وسلم تسليماً كثيراً.

المؤلف

---

(3) سورة الروم : 9 .

(4) روائع إسلامية : 59/2 .

(5) ينظر : شرح النووي على مسلم ج1 ص 170 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الأول

تصنيف الناس إلى مراتب

كما هو معلوم لدى كل عاقل أن الناس على أصناف شتى، وكل صنف لـه ميزاتـه وقدراته وتكويناته، وعقل كل صنف من هؤلاء يتميز عن غيره، والتميز هذا يأتي من قوة عقله ورجاحته، وبما يظهر منه من إنتاج وعطاء وبذل وإبداع وتغـيير، ولاسـيما نحـو الأحسن والأفضل والأمثل.

فالناس يختلفون من حيث المعتقدات والديانات والمناهج والأفكار، ويختلفون من حيث المستويات العلمية والبحثية، وكذلك يختلفون من حيث المهن والتخصصات.. وكل إنسان له الحرية المطلقة في عبادة من يريد من غير إكراه أو أن يُفرض عليه أي دين أو معتقد، قال الله تعالى: **﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾** (6).

ولكل نوع حالته، وتصنيفه.. لهذا جاء أمر رسول الله ﷺ أن نترل الناس منـازلهم – كما قال الإمام النووي – دالاً دلالة صحيحة على ما نقول ونبغي من هذه الرسالة، لأنك إن لم تترل كل صنف مترلته، فاعلم أن الأمر سيؤول إلى دمار وخراب وفساد.. وسيؤول إلى عواقب وخيمة.

فهل من المعقول لدى كل عاقل أعمل عقله أن يعامل العالم المتبحر كما يعامل طالـب العلم أو الجاهل أو الوضيع ؟، لا بل إن من الحكمة البالغة المنصفة أن تعطي كل ذي حق حقه في التعامل والتقدير، وأن تقدر لكل صنف قدره، هذا ما يُفهم من أمر رسول الله ﷺ – محل البحث – وقد أشار الله عز وجل في سورة الزمر إلى التفريق بين العـالم وغـيره، وجعلهم منازل ومراتب ودرجات حيث قال تعالى: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الـذِّينَ يَعْلَمُـونَ وَالذِّين لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾**(7). وفي حديث للنبي ﷺ قال: **((فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم....))** (8).

---

(6) سورة البقرة : 256.

(7) سورة الزمر الآية رقم (9) .

(8) رواه الترمذي : 50/5 وقال : حديث حسن .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقد عزَّ علينا اليوم أن نكون بمستوى الفهمِ والعملِ اللذين كان عليه الجيل الأول من الصحابة وتابعيهم (رضوان الله عليهم) في إعطاء كل ذي حق حقه ومنزلته، والخطاب الذي وجهه رسول الله ﷺ إليهم فهموه فهماً جيداً، وطبقوه حرفياً وواقعاً حتى نالوا به المراتب العالية والذكر الحميد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأما نحن فقد فهمنا الخطاب النبوي فهماً جيداً ووعيناه حق الوعي، ولكننا تغافلنا عنه و لم نعمل بمقتضاه، ولو عملنا به، لأنزلنا الناس منازلهم، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾(9).

بل إن البعض منهم جاروا على أهل الاختصاص والصنف فبخسوهم حقوقهم وأنكروا وجودهم، وآخرون تجاوزوا الحد إلى أن اغتصبوا حق الفضلاء في التمثيل في المحافل التخصصية فاحتلوا مواقعهم وقاموا مقامهم من غير حق شرعي تحت شهادات مزورة مطعون فيها، ولما فعلوا ذلك عطّلوا مواهب المتميزين وقدراتهم، وهذا التصرف – لعمر الحق – طامة كبرى يجب أن ينتبهوا إليه قبل فوات الأوان.

ومن باب إسداء النصيحة والموعظة الحسنة كان واجباً علينا في هذه العجالة تصنيف الناس وتبيان مراتبهم، لأجل أن نصل إلى ما وصل إليه سلفنا الصالح في العمل والإتباع، وكيف كانوا بحق مشاعل مباركة تنير للناس طريقهم.

وليعلم كل عاقل أن هذا التفاوت بين الناس هو أمر إلهي مقطوع به، لكي تَعْمُرَ البلاد وتستقيمَ الحياة، ولو تساوى الناس جميعاً في كل شيء، لاعتدى بعضهم على بعض، ولقعد كل واحد منهم ينظر إلى الآخر ماذا يفعل، لهذا قال الله تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾(10).

إذن هو قانون إلهي ومنهج رباني قويم، لتسير عليه الحياة نحو الأحسن والأفضل، ونحو الرفعة والاستقامة، والتنافس الشريف البنَّاء المجدي.

ورسول الله ﷺ يشير إلى ذلك بقوله: «**يَؤُمُّ القومَ أَقْرؤهم لكتاب اللهِ، فإنْ كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواءً فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في**

---

(9) سورة الصف الآيتان (2و3) .

(10) سورة المجادلة رقم الآية (11) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الهجرة سواءً، فأقدمهم سناً، ولا يؤمنَّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلاَّ بإذنه»، وفي رواية: «**فأقدمهم سلماً**» بدل «**سِنّاً**» أو «**إسلاماً**» [11].

فالأخطـــاء كثيرة، ولا يمكن أن نضع لها ميزاناً إلاَّ إذا التزمنا ما طلبه رســـول الله ﷺ منا.

فتصنيف الناس لا يمكن أن يكون إلاَّ عن طريق دورهم في الحياة ووظيفتـــهم، وكـــل حسب مترلته في المجتمع ومرتبته، ولكننا في هذا البحث اليسير المقتضب رأينا أن ميـــزان العلم وميزان الوجاهة [12] هما أجدى وأفضل ميزانين في تصنيف الناس، وذلك بالاعتماد على قول الله تعالى في تصنيـــف الناس كما في سورة الزمر: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذِّيـــــنَ يَعْلَمُونَ وَالذِّين لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾** .

ورأينا في هذا البحث أن نصنف الناس إلى أصناف ثلاثة:

الصنف الأول: العلماء وأهل الفضل.

الصنف الثاني: طلبة العلم والعلماء.

الصنف الثالث: الجهلة والبسطاء.

وسنتناول كل واحد منها بشيء من التفصيل بإذن الله عز وجل:

الصنف الأول:

(11) رواه الإمام مسلم برقم (673) و (291) .

(12) نقصد بالوجاهة : موقعه بين الناس من حيث دوره في الإصلاح ، والبناء ، وتأليف القلوب .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العلماء وأهل الفضل

فمن الجدير بالإشارة إلى أن العلماء وأهل الفضل هم الطليعة المتقدمة في كل مجتمع مهما كان نوعه وشكله وسياسة حكمه، فهم يستشرفون الناس بعلمهم وفضلهم، وهم الكوكبة التي تُبنى بها الأوطان وتُعمَّرُ بها البلاد، وكم هو دورهم في صناعة الرجال الذين بهم تتحقق السعادة للمجتمع، ويتحقق الخير والنصر، قال ﷺ لعلي رضي الله عنه: **((لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم))** (13).

فالأوطان تزهو بهذه الأعلام والمنارات، وبهذه الجبال الشامخات، فالرسول الكريم ﷺ كان يمسح بمناكب الصحابة رضي الله عنهم في الصلاة، ويقول: **((استووا ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليلني أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم))** (14).

أي كان ﷺ يقدم البالغ من أهل الحلم والفضل - وهم أهل العقول النيرة - على غيرهم في الصلاة، لأن الصلاة هي الركن الركين التي يُعتمد عليها في معرفة أولي الأحلام والعقول، فإذا صلحت عند العبد صلح سائر عمله، وإذا فسدت فسد سائر عمله.

قال الإمام النووي: **(وأولو الأحلام هم العقلاء، وقيل البالغون، والنهى بضم النون العقول)**، وقال أيضاً: **(في هذا الحديث تقديم الأفضل فالأفضل إلى الأمام، لأنه أولى بالإكرام، ولأنه ربما يحتاج الإمام إلى استخلاف فيكون هو أولى، ولأنه يتفطن لتنبيه الإمام على السهو لما لا يتفطن له غيره، وليضبطوا صفة الصلاة ويحفظوها وينقلوها ويعلموها الناس، وليقتدي بأفعالهم من وراءهم، ولا يختص هذا التقديم بالصلاة بل السنة أن يقدم أهل الفضل في كل مجمع إلى الأمام وكبير المجلس كمجالس العلم والقضاء والذكر والمشاورة ومواقف القتال وإمامة الصلاة والتدريس والإفتاء وإسماع الحديث ونحوها، ويكون الناس فيها على مراتبهم في العلم والدين والعقل والشرف والسن والكفاءة في ذلك الباب والأحاديث الصحيحة متعاضدة)** (15).

---

(13) رواه البخاري : 58/7 ، ومسلم (2406) عن سهل بن سعد . وحمر النعم : هي الإبل ، وهي من أنفس أموال العرب ، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء ، وأنه ليس هناك أعظم منه .

(14) رواه الإمام مسلم برقم (432) .

(15) شرح صحيح الإمام مسلم : 399/4 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن عبـــادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **((ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا))** (16).

ومعلم الخير تستغفر له كل دابة، لفضله الكبير في الدلالة عن كل عمل صالح وتحذير الناس من كل عمل سيء وباطل، فقد امتدح ابن عباس ﷺ معلمي الخير بقوله: **(إن الذي يعلم الناس الخير تستغفر له كل دابة حتى الحوت في البحر).**

وهذا الإمام أحمد (رحمه الله) يقول عن العلماء: (**الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويُيَصِرُّون من هم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويُيَصرُّون بنور الله العمي، فكم من قتيل لإبليس أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثر الناس عليهم**) (17).

وقال العلامة ابن القيم (رحمه الله) وهو يمتدح العلماء: (**العلماء بمنزلة النجوم في السماء، يهتدي بهم الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض من طاعة الأمهات والأباء بنص الكتاب، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾)** (18).

فالعالـــــم العامل هو القـــدوة الحسنـــــة بما يَعْلَمُ من الحق وبما يُعَلِّم.. ويتبعـــــه على ذلك الكثير ممن يطلبونه، ورقي الأمم وتقدمها وازدهارها يتحصل بما ينتجه هؤلاء العلماء... لذا يجب أن ترعى هذه الطبقة من الناس رعاية طيبة من قبل أولياء الأمور الحكَّام، وأهل الشأن، لأن ضياعهم خسارة كبيرة، وتراجع وتدهور وتخلف.

فهـــــذه الطليعة يجب أن نزلها المنزلة اللائقة في المجتمـــــع، لتتبوء المكانة السامية والمرموقة، وليكون لها الدور الفاعل في سموه وشموخه وزهوهه وبناءه.

---

(16) رواه أحمد بإسناد حسن : 323/5 ، والهيثمي في المجمع : 338/1 وقال : إسناده حسن

(17) الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية ص 51 .

(18) سورة النساء رقم الآية (59) . ينظر : إعلام الموقعين عن رب العالمين (9/1) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهذا الإمام علي ﷺ يبين لنا منزلة العلماء وحقهم على الناس فيقول: **(إن من حق العَالِم عليك: أن تسلِّم على القوم عامة وتخصه بالتحية، وأن تجلس أمامه، ولا تعينه في الجواب، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرته، ولا تقول له سمعت فلاناً يقول كذا ولا أن فلاناً يقول بخلافك، ولا تضعن عنده عالماً، فإنما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيئاً)** (19).

ولكن ما نراه اليوم خلاف ما نقصده ونسعى إليه، لهذا يرشدنا رسول الله ﷺ بأن نكون قدوات في المجتمع من أجل أن نعطي الخير ونبني النفوس الراقية المهذبة، ونهيأ بهذا الأجواء المناسبة، لأجل أن يعيش المسلمون بخير وعافية.

فالعلماء لهم الخير الأوفى في الدنيا والآخرة إن أخلصوا العمل لله عز وجل، وقد جعلهم الله شهداء على الناس بين يديه يوم القيامة، قال الله تعالى: **﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَآقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ والسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** (20).

والعلمـــاء ورثة الأنبياء في الدعوة والتبليغ وبث الخير بين الناس كما أخبر بذلك النبي ﷺ، فعن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهّل الله له طريقاً الى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على ســـائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر))** (21).

فهذه النخبة من البشر لو حوربت وناصبها أعداؤها العداء فستنقرض وسيحل محلها صنف آخر من النوع المضل المزور الذي سيقـــود المجتمع إلى سفاسف الأمور، وإلى الضلال البعيد، والعياذ بالله، وهذه ما نراه اليوم في عموم المجتمعات الإسلامية.

---

(19) ينظر : مختصرمنهاج القاصدين : 7 .

(20) سورة النحل رقم الآية (27) .

(21) رواه البخاري : 37/1 ، ومسلم : 2074/4 ، وابو داود : 341/2 ، والترمذي : 28/5 و48 ، وابن ماجـــه : 81/1 و82 ، وأحمد : 252/2 و325 و196/5 ، والدارمي : 110/1 ، والحاكم : 165/1 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لهذا نجـــد التهميش والقتل قد طال العلماء وأهل الفضل، فقد قُتل منهم الكثير في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، والغرض من ذلك كله إفراغ البلاد الإسلامية منهم، لينحسر دورها بين الأمم وتصبح متخلفة لا يعبأ لها أحد من الناس.

فعلى الأمـــــم أن تحرص على هذه النخبـــــة وأن تهتم بها أيَّما اهتمام، وأن تحتضنها بصورة تتلائم ومكانتها في المجتمع، وأن لا تسعى إلى التخلص منها، فهذا يجعلها في مصاف الأمم الضعيفة التي تعيش على هامش الأمم القوية وتحت وطأتها.

لذا حينما نتجول في تلك الأمم المتخلفة نجد أنه لا مكانة للعلم والعلماء فيها.. بل الذي نراه أن الجهـــــل يعشعش في أركانهـــــــــا، والتخلف العلمي هو الذي يسود في جنباتها، وهذه من الكوارث الكبرى في سبب ضياعها.

ومما يؤلم كثيراً أن بعض الأمم فيها العلماء وفطاحل العلماء، ولكن الحكَّام والعامة من الناس لا تجلّهم ولا توقرهم، بل حالهم كحال غيرهم... وبالمقابل نجد أمماً ترعى العلماء والفضلاء رعاية كبيرة وخاصة.. لهذا نجدها متقدمة على غيرها من الأمم..

وبهذه النخبة من العلماء والفضلاء تصنف الأمم، لذا نجد أن الأمم اليوم مصنفة تصنيفاً دقيقاً، فهذه أمة متقدمة، وهذه متخلفة، وهذه من العالم الثالث.. الخ.

فالإسلام رعى نخبة العلماء، وجعل لها مكانة سامية بين الناس، يقول رسول الله ﷺ: «**ليلني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم**» ثلاثاً «**وإياكم وهيشات الأسواق**»[22].

قال المناوي في شرحه للحديث: **(لا تكونوا مختلطين اختلاط أهل السوق فلا يتميز الذكور عن الإناث ولا الصبيان عن البالغين)** [23].

---

(22) رواه مسلم رقم الحديث (432) و (123) . وهيشات الأسواق : ما يكون فيها من الجلبة وارتفاع الأصوات وما يحدث فيها من فتن ، وأصله من الهوش وهو الاختلاط .

(23) رياض الصالحين ص 147 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بل يجب أن نميز العالم من الجاهل، والشريف من الوضيع، والذكر من الأنثى، لأجل أن نعطي كل ذي حق حقه، ثم في النهاية نترلهم منازلهم.

فالرسول ﷺ كان يعطي كل ذي حق حقه حتى في القبر، فمن ذلك: فقد روى جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحد يعني في القبر، ثم يقول: «**أيهما أكثر أخذاً للقرآن؟**»[24] فإذا أشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللحد[25].

لماذا كل هذا ؟ لأجل أن يستشرف هؤلاء ويتميزوا عن غيرهم، فهؤلاء العقلاء من الناس الذين يضعون الشيء في محله، وهم سبب كل خيرٍ.

قال الحسن البصري (رحمه الله): **(لسان العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد الكلام تفكَّر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت، وقلب الجاهل من وراء لسانه، فإن همَّ بالكلام تكلَّم به، له أو عليه)** [26]. وقال أحد العارفين: **(العاقل من عقل لسانه، والجاهل من جهل قدره، إذا تم العقل نقص الكلام)** [27]، وقديماً قيل: **(الجاهل يعتمد على أمله، والعاقل يعتمد على عمله)** [28].

فهؤلاء هم الطليعة في كل مجتمع له مكانته ودوره في رقي الأمم والحضارات.

---

(24) أي حفظاً له .

(25) رواه البخاري (170/3) .

(26) روائع إسلامية : 62/2 .

(27) المصدر نفسه : 64/2 .

(28) أدب الدنيا والدين ص 108 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصنف الثاني:

طلبة العلم والعلماء

إنه صنف ثانٍ مبارك.. هؤلاء يسعون بكل جهد وقوة، ليلتحقوا بالصنف الأول، ويصلوا إلى ما وصلوا إليه، إنهم طلبة العلم والعلماء، ولو أحصيناهم لوجدنا أن عددهم قليل مقارنة بغيرهم من الجهال والمتخلفين.

إذن هم طلبة العلم والعلماء، وتشمل هذه المرتبة كل طالب علم مهما كان سنه وكانت قوميته، ومهما كان تخصصه وصنفه وممارسته..

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[29].

فإن الجهد الذي يبذله هؤلاء ليس بالهين ولا بالقليل، فهم يحملون راية الوصول، وراية التجديد، قال الله تعالى وهو يصفهم بالمجاهدين: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[30].

والرسول ﷺ خص هؤلاء الثلة المباركة بالخيرية والأفضلية، فعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله: **((من يرد الله به خيراً يفقه في الدين))** [31] وقال ﷺ: **((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة))** [32]، وقال ﷺ: **((إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب))** [33].

---

(29) سورة التوبة : 122 .

(30) سورة العنكبوت : 69 .

(31) رواه البخاري : 150/1 ، 151 و 152/6 ، ومسلم : 718/2 ، والترمذي : 28/5 ، وابن ماجه : 80/1 ، والامام أحمد : 1 /306 ، والدارمي : 85/1 .

(32) رواه مسلم برقم (2699) .

(33) رواه الترمذي برقم (3535) ، وابن ماجه برقم (226) ، وابن حبان برقم (89) ، وأحمد : 239/4 ، وابن خزيمة برقم (193) والحديث صحيح .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإن تصنيف هؤلاء لدى الأخيار يعتبر من النوع الممتـــاز، قال أبو ذر ﷺ: **(العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس لا خيـــر فيهم، كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك)** (34).

وقـــال معاذ بن جبل ﷺ: **(إن العلم يرفع الله به قوماً فيجعلهم قادة أئمة تقتفى آثارهم، ويُقتدى بأفعالهم)** (35).

فهؤلاء سيصلون – بإذن الله تعالى – إذا أخلصوا نياتهم ومطلبهم لله تعالى، كما قال الإمام مالك (رحمه الله) وهو يحدث عن لقمان الحكيم وهو يعظ ابنه، أنه قال: **(يا بُني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فـــإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابـــل السماء)** (36).

وقال كعب (رحمه الله): **(أوحـــى الله تعالى إلى موسى عليه السلام، أن تَعَلَّم يا موسى الخير وعَلِّمه الناس، فإني منّور لمعلم الخير ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا بمكانهم)** (37)، وقال أيضاً: **(وطالب العلم بين الجهال كالحي بين الأموات)** (38).

ولكن قد يخرج من بينهم مَنْ يطلب العلم لا للهدف المطلوب السامي في بناء القلوب والأوطان وعمارة الديار والوصول إلى مرضات رب العالمين، إنما هدفه ذاتي ونفسي.. يبتغي من ورائه الوصـــــــول إلى عرض دنيوي، أو الإرتفاع على أقرانه ومنافسيه، فهذا يفسد أكثر مما يصلح، لهذا جعل الله أشد بغضه على من يقول ولا يفعل، وهؤلاء من صف المؤمنين فكيف بغيرهم، قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾** (39).

---

(34) مختصر منهاج القاصدين : 15 .

(35) المصدر نفسه .

(36) تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك : 161/3 .

(37) مختصر منهاج القاصدين ص 7 .

(38) المصدر نفسه .

(39) سورة الصف : 3 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((من تعلم علماً مما يُبتغى به وجهُ الله عز وجل لا يتعلمه إلاَّ ليُصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة))** [40] يعني ريحها.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((من جاء مسجدي هذا لم يأتـــه إلاَّ لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهدين في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر الى متاع غيره))** [41].

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت المـــاء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبلْ هدى الله الذي أرسلت به))** [42].

فالأمر جد خطير إن لم يَصْرِف هؤلاء نياتهم لمرضات ربهم ولعمارة أوطانهم وإصلاح ما خربه الضالون، لأنه لو بقي الحال على ما هو عليه لم يكن لهؤلاء دور في الإصلاح، فعليهم أن ينتبهوا لهذا الأمر، وهذه هي مهمتهم.

هؤلاء كما قلنا يتعلمون العلم لغرض دنيوي، أو لمماراة العلماء، أو لمجارات السفهاء، أو التذلل بين يدي السلطان والساسة كما يحدث اليوم لتحقيق مآرب معينة لديهم، وقد وصف رسول الله هؤلاء بأنهم منافقوا هذه الأمة، قال رسول الله ﷺ: **((أكثر منافقي أمتي قراؤها))** [43].

---

(40) رواه أبو داود برقم (3664) ، وأخرجه أحمد : 338/2 ، وابن ماجه برقم (252) وصححه ابـــن حبـــان بـــرقم (89) ، والحاكم : 85/1 ووافقه الذهبي ، ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم : 190/1 من طريق آخر ، وله شاهد من حديث أنس عند الخطيب في اقتضاء العلم العمل برقم (101) . ينظر : رياض الصالحين ص 481 .

(41) رواه ابن ماجه في سننه : 82/1 رقم الحديث (227) ، صحيح على شرط مسلم ، وقال الالباني : صحيح .

(42) رواه البخاري : 160/1 ، 161 ، ومسلم : 1787/4 ، وأحمد : 399/4 .

(43) رواه الإمام أحمد برقم 5006 بإسناد حسن .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن كعب بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((من طلب العلم ليماري به العلماء أو ليجاري به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار))** (44).

فجهود هؤلاء ستذهب سدى ومن غير مردود حسن لهذا الدين، أضف إلى ذلك أنهم قد خسروا مرضات الله عز وجل التي هي مبتغى كل مخلص، وإذا خسروها فلن تتكلل جهودهم بالتوفيق حتى يراجعوا.

فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((.. ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القـــرآن، فأتي به، فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلـــم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قاريء، فقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه حتى ألقي في النار))** (45).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: **((من طلب العلم لغير الله أو أراد به غير الله، فليتبوأ مقعده من النار))** (46).

ذكر الإمام الذهبي في ترجمة هشام الدستُوائي، قال عون بن عمارة، سمعت هشاماً الدستوائي يقول: والله ما أستطيع أن أقول: إني ذهبت يوماً قط أطلب الحديث أريد به وجه الله عز وجل، قال الذهبي: والله ولا أنا. فقد كان السلف يطلبون العلم لله فَنَبلوا، وصاروا أئمة يقتدى بهم، وطلبه قوم منهم أولاً لا لله، وحصَّلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم، فجرَّهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق، كما قال مجاهد وغيره: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية، ثم رزقنا الله النية بعد، وبعضهم يقول: طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلاَّ لله، فهذا أيضاً حسن، ثم نشروه بنية صالحة، وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا، وليُثْنِيَ عليهم، فلهم ما نووا، قال عليه السلام: **((من غَزَا ينوي عقالاً فله ما**

---

(44) رواه ابن ماجه : 93/1 ، والدارمي : 116/1 ، واسناده صحيح . ومعنى (يجاري : يتظاهر ويحب اذاعة الصيت بعلمه وهو لا يعمل ، ويماري : يجادل ويخاصم) .

(45) رواه مسلم : 1513/3 ، والنسائي : 23/6 و 24 .

(46) رواه ابن ماجه : 95/1 ورجال اسناده ثقاة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نوى))، وترى هذا الضرب لم يستضيؤوا بنور الله، ولا لهم وقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنما العالم من يخشى الله تعالى[47].

إذن نخلص إلى:

- أن هناك صنف من الناس قد عمل عملاً وبذل جهداً فيما يبدو للناظر أنه عمل صالحاً، ولكنه عند الله غير مقبول، أو أنه عمل عملاً لا طائل منه فجعله الله هباءً منثوراً، أو أنه لا يتره أن يقول: لا أعلم في المسائل التي لا يعرف لها علماً مخافة أن يتهم بالجهل، أو ليقال عنه إنه غير عالم، فهؤلاء وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً**﴾ [48]، فالصحابة رضوان الله عليهم كان أحدهم يود لو أن أخاه كفاه بالفتيا، فقد ذكر الذهبي (رحمه الله) قال: روى عطاء بن السائب عن ابن أبي ليلى قال: أدركت عشرين ومئة من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار، إذا سُئِلَ أحدُهم عن شيء وَدَّ أن أخاه كفاه[49]، وسئل الشعبي، فقال: لا أدري نصف العلم[50]، وعن الإمام مالك قال: جُنَّة العالم، لا أدري، فإذا أُغفلها أُصيبت مقاتلُه، وسئل (رحمه الله) عن ثمانٍ وأربعين مسألة فأجاب في اثنتين وثلاثين منها بـــــ (لا أدري) [51].

فهذا هو ديدن العلماء لا يجيبون إلاَّ بما يعلمون، ولا يتجرأ أحدهم على الفتيا بغير علم إلاَّ المكابر والمعاند، وهذا ما حذر عليه أهل العلم.

- وأن هناك صنف آخر قد يظن أنه عمل عملاً حسناً، ولكنه قبيح عند الله، أو أنه خالف الصحيح، لأنه لم يوافق مراد الله، فهذا مردود أيضاً، لقول الله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾[52].

---

(47) الفوائد الذهبية ص79 .
(48) سورة الفرقان : 23 .
(49) سير أعلام النبلاء : ج4 ص263 .
(50) المصدر نفسه : ج4 ص318 .
(51) المصدر نفسه : ج8 ص77 .
(52) سورة فاطر : 7 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأن على العلماء أن يرفقوا بطالب العلم ويهيؤوا له كل أسباب النجاح والوصول، ليتحقق له ما يطلب، فقد روي عن أبي هارون العبدي أنه قال: كنا نأتي أبا سعيد الخدري ﷺ فيقول: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ، أن النبي ﷺ قال: **((إن الناس لكم تبع، وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الدنيا يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً))** (53).

فطلبة العلم الربانيون، هم قادة الإسلام مستقبلاً، لذا نرجو ممن يصل إلى سدة الحكم أن يترل هؤلاء مترلتهم ويُعَظِّم من شأنهم ويهيأ لهم الطريق، لأجل الوصول إلى هدفهم.

قال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾** (54).

وعلى طلبة العلم أن يأخذوا العلم من مظانه، ومن العلماء المشهورين الذين ذاع صيتهم في الأفاق، وقد اشتهروا به بين الناس، قال الذهبي: **(كان علي بن الحسين يدخل المسجد، فيشق الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم، فقال له نافع بن جبير: غفر الله لك، أنت سيد الناس، تأتي تتخطى حتى تجلس مع هذا العبد، فقال علي بن الحسين: العلم يُبتَغَى ويُؤتَى ويطلب من حيث كان)** (55).

(53) رواه الترمذي في كتاب العلم برقم (2574) ، وابن ماجه في المقدمة برقم (245) .

(54) سورة العنكبوت : 69 .

(55) سير أعلام النبلاء : ج4 ص388 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصنف الثالث:

الجَهَلَةُ، والمتخلِفُونَ

لكل أمة جُهَّالها ومتخلفوها.. ونسبتهم إلى أهل العلم في أي مجتمع من المجتمعات عالية جداً مهما كان تصنيف هذا المجتمع وترتيبه، لذا تحرص الدول المتحضرة إلى تقليل هذه النسبة وانتشال هؤلاء من هذا المستنقع المميت، فتُنشأ وتعدّ لهم المعاهد والمدارس ودور العلم ودور مكافحة الأمية.. إلى غير ذلك، وحسناً تفعل، لأن الأمة الجاهلة لا يعبأ لها بين الأمم.. بل يصنفها العلماء تصنيفاً أخيراً بين الأمم.

والجاهل هالك، لأنه لا يضع الشيء في محله، وكثيراً ما تصدر منه الحماقة، وسوء التصرف، والحماقة لا يتولد منها إلاَّ التهور والضعف وسرعة الغضب والأنفعال وسوء السلوك، وأنه لا يعالج الأمور بالتأني والروية والحكمة والصبر، وإنما يسعى إلى التغيير بحماقته ولكنه سرعان ما يقع في الخطأ والتردي والسقوط.

هذا هو حال الجاهل والمتخلف، لذا قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقه في الدين**» (56).

والصحابي الجليل أبو ذر رضي الله عنه أدرك ذلك بحسه النبوي فقال: **(العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس لا خير فيهم، كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك)** (57)، ويقصد بالرابع الجاهل.

وقال الشعبي (رحمه الله): **(اتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين فإنه آفة كل مفتون)** (58).

---

(56) رواه البخاري : 150/1 - 151 و 152/6 ، ومسلم : 718/2 ، والترمذي : 28/5 ، وابن ماجه : 80/1 ، والامام أحمد : 1 /306 ، والدارمي : 85/1 .

(57) مختصر منهاج القاصدين : 15 .

(58) المصدر نفسه : 15 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خِفتُ دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلاَّ حديث النبي ﷺ، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يَعلم مَن لا يعلم، فإن العلم لا يَهْلِك حتى يكون سراً [59].

لهذا لم يسوِ الله عز وجل بين أهل العلم والجاهلين بقوله تعالى: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذِّينَ يَعْلَمُونَ وَالذِّين لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَرَ أُولُوا الألْبَابِ﴾** [60].

ونصح أحد العلماء المسلمين بعدم مشاورة سبعة من الناس قائلاً: **(سبعة لا ينبغي لذي عقل أن يشاورهم: جاهل، وعدو، وحسود، ومرَّاء، وجبان، وذو هوى، فالجاهل يُضل، والعدو يريد الهلاك، والحسود يتمنى زوال النعمة، والمرائي واقف على رضا الناس، والجبان من دأبه الهرب، والبخيل حريص على المال، فلا رأي له في غيره، وذو الهوى أسير هواه لا يقدر على مخالفته)** [61].

فالجهل مصيبة المصائب، وآفة الآفات في المجتمعات، فإذا حلَّ الجهل في أمة من الأمم، لا يكون مصيرها إلاَّ الهلاك والبوار، لأنها لا تستطيع على شيء، وعندما لا تستطيع على شيء، فإنها ستكون عرضة دائماً وأبداً لبغي الأعداء..

وضرر الجاهل أشد وأنكى على المجتمع من غيره، وقد قيل: **(عداوة العاقل أقل ضرراً من مودة الجاهل)**، لماذا ؟ لأن الأحمق ربما ضر وهو يقدر أن ينفع، والعاقل لا يتجاوز الحد في مضرته، فمضرته لها حد يقف عليه العقل، ومضرة الجاهل ليست بذات الحد، والمحدود أقل ضرراً ما هو غير محدود [62].

فتحذير الأنبياء من مغبة الجهل من آكد ما جاءوا به إلى أقوامهم، وقد بينت سورة الشعراء وغيرها من السور أقوال الأنبياء لإقوامهم، ثم ختمت الرسالات بالنبي محمد ﷺ الذي بيَّن لأمته أن طلب العلم مطلوب من المهد إلى اللحد، وأنه من الإيمان، فقد روي

---

(59) صحيح البخاري – كتاب العلم – كيف يقبض العلم ص 37 .

(60) الزمر : 7 .

(61) روائع إسلامية : ج2 ص46 .

(62) انظر : أدب الدنيا والدين ص 168 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **((طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة))** (63).

ومعلوم لدى كل مسلم أن أول ما نزل من القرآن على المختار ﷺ قول الله تعالى: **﴿اقْرَأْ﴾**، وهذا يدل دلالة واضحة على أن الإسلام يحث المسلمين على طلب القراءة والتعلم والبحث العلمي، لأجل الوصول إلى كل ما هو نافع ومجدي، وهذا من أهم ما يسعى إليه ديننا الحنيف، فليحرص كل مسلم على ذلك، بل إن من واجب أهل الحسبة الأخذ على أيدي الجهلة والأُميين في التعلم وطلب القراءة والكتابة، وانتشالهم من مهاوئ الجهل والتخلف.

وذهاب العلم وانتشار الجهل في الأمة كما أخبر رسول الله ﷺ لا يكون إلاَّ بموت العلماء، فيضطر الناس إلى أن يتخذوا رؤوساً جهالاً لسؤالهم وطلب الفتيا منهم، فيفتونهم بغير علم فيكون سبباً في ضلالهم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبضُ العلمَ بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقِ عالماً اتَّخذ الناس رؤوساً جُهَّالاً، فسُئِلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأَضلُّوا))** (64).

والذي نخلص منه أن الجهل عواقبه وخيمة، وأنه يجلب الويلات والخراب والدمار لكل أمة إذا تفشى وطغى وعم.. لهذا نحث أولياء الأمور في كل مجتمع من المجتمعات أن لا يهملوا هذا الجانب المهم والحيوي، لأجل إنقاذه من الغرق الأكيد إلى شاطئ الأمان، ومن الله التوفيق والسداد.

(63) الحديث حسن لغيره ، وله طرقاً كثيرة ذكرها ابن الجوزي في العلل المتناهية : 1/54-66 ، والسخاوي في المقاصد الحسنة ص 275-277 ، والزبيدي في شرح الإحياء : 1/97-98 ، وحسنّه المزّي ، والسيوطي والمناوي والألباني وآخرين . ينظر : مختصر منهاج القاصدين – الهامش ، ص 24 ..

(64) رواه البخاري في كتاب العلم رقم الحديث (100) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الثاني

المِيزَانُ الذِّي تَزِنُ بِهِ النَّاسَ

أيها العاقل الرشيد: بعد تحديد أصناف الناس، لابد من ميزان قويم تزن به، لتعرف من خلاله مَنْ هم الذين يستحقون أن يكون لهم الرفعة والمكانة السامية بين أصناف البشر الأخرى، وأهم الأوْلى بالاهتمام والتمييز، ولكن من غير إساءة إلى الأصناف الأخرى.

والذي اعتمدناه في هذا المطلب موازين ثلاثة في معرفة الصفات والعلامات لكي نزن بها الناس ونجعلهم طبقات ومراتب، لنخرج بمحصلة طيبة في تصنيف الناس، وهي: كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه ﷺ، وأقوال العلماء (رحمهم الله) من هذه الأمة الخيرة التي رفع الله شأنها بين الأمم، وبوأها المنزلة العالية الرفيعة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[65]، وقال أيضاً: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [66].

وفيما يأتي التعرض لكل ميزان من هذه الموازين الثلاثة، وذلك بذكر بعضاً من النصوص التي أشارت إليها، لأجل أن يعرف كل مسلم الطريق الأمثل في تصنيف الناس:

أولاً – القرآن الكريم:

لعل ما جاء في كتاب الله عز وجل هو المعيار الأول في معرفة الخصائص التي يتمتع بها الفضلاء من غيرهم، فالقرآن اتفقت عليه جميع المسلمين على أنه أصح كتاب على وجه الأرض، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، لذا اعتمدناه ميزاناً أولاً في ما نَصبُوا إليه.

فقد استخدم القرآن الكريم عبارات معينة للتمييز بين صنفين من الأشياء للدلالة على تفوق الأول على الثاني، أو للتمييز بين شيئين عظيمين وذلك في مواضع متعددة، وأكثر عبارة أستخدمها هي عبارة (هل يستوي) كميزان يرجح كفة على أخرى، وكذلك استخدم عبارة (مثل)، وعبارة (يرفع)، وكما يأتي:

---

(65) الإسراء : 9 .

(66) آل عمران : 110 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

1. مرتبة العلم، وتفوق العالم على الجاهل في كل شيء:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذِّينَ يَعْلَمُونَ وَالذِّين لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ (67).

قال الأشقر: **(المراد: العلماء والجهَّال)** (68)، فلا محالة أن العلماء وأهل العلم يتميزون عن غيرهم في معرفة الأشياء والمدلولات سواء أكانت دينية أم دنيوية، وهم الذين يُميّزون بين الصالح النافع والطالح المضر، وهؤلاء هم الطبقة التي تزهو بهم المجتمعات وتبنى وتتطور، وقد عُرف هذا قديماً وحديثاً وسيستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا المعيار هو المقدم على غيره في فهم الناس وتمييز بعضهم على بعض، ونطلب من جميع المسلمين أن يفهموا هذا المقياس وهذا المعيار الرباني. والعلماء ورثة الأنبياء، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، لأجل أن تبرهم الأمة وتجلهم وتحترمهم، فالدنيا لا يستقيم حالها إلاَّ إذا أُكرم العلماء، وقد قيل أن الدنيا تستند على أربعة أركان: **(عدل الأكابر، وعلم الأفاضل، وجلال الشجعان، ودعاء الصالحين).**

2. التمييز بين الأشياء المتباينة، لغرض التفاضل بينها:

قال الله تعالى: ﴿قَلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّور﴾ (69).

فليس من يرى الطريق ويبصره ويعرف منعطفاته ومثاباته كالذي لا يراه ولا يستطيع أن يميز بين السهل من غيره، فالأول يستطيع أن يصل إلى ما يبغي إليه بمفرده من غير واسطة، والثاني لا يستطيع أن يصل إليه إلاَّ بدلالة شخص آخر بصير، ولا يستوي النور الوضاء مع الظلام الحالك. وهذا مثلٌ ضربه الله للناس ليبين لهم أن أهل الهدى والنور خير من أهل الظلال والفجور.

إذن المثل الذي يضربه الله عز وجل له دلالته البالغة للتمييز بين صنفين من الناس، صنف يدري وصنف لا يدري، صنف نوّر الله قلبه بالعلم والعمل، وآخر أعمى الله بصيرته، لأنه أضل الطريق، فالأول سعى إلى مرضات ربه فنوّر الله قلبه وطريقه، والثاني سعى لمرضات هواه والشيطان فأعمى الله بصيرته وأضله طريقه، فهل يستويان ؟

---

(67) الزمر : 9 .

(68) زبدة التفسير من فتح القدير ص607 .

(69) الرعد : 16 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كلا لا يستويان. وهكذا يضرب الله الأمثال ليستبين طريقهم ويصلوا إلى جادة الصواب، فمثل البصير كمثل العالم، ومثل الأعمى كمثل الجاهل، فهل يستويان ؟.

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾[70].

فعن مجاهد: (﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ الفريقان الكافران والمؤمنان، فأما الأعمى والأصم فالكافران، وأما البصير والسميع فهما المؤمنان) [71].

ضرب الله عز وجل للفريقين مثلاً وهو تشبيه فريق الكافرين بالأعمى والأصم، وتشبيه فريق المؤمنين بالبصير والسميع على أن كل فريق شبه بشيئين أو شبه بمن جمع بين الشيئين، فالكافر شبه بمن جمع بين العمى والصمم والمؤمن شبه بمن جمع بين السمع والبصر وعلى هذا تكون الواو في (والأصم) وفي (والسميع) لعطف الصفة على الصفة [72].

فالذي أبصر الطريق هو العالم به، والذي أضله هو الجاهل به، فهل يستويان ؟.

وقال الله تعالى في معرض آخر: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [73].

إن عدم إستواء الأعمى والبصير، وعدم إستواء المؤمن مع المسيىء، وعدم استواء العالم والمتبصر مع الجاهل والأحمق، لدليل على تغير المنازل وعدم مساواتهم، وعلى العاقل الرشيد أن يعطي كل ذي حق حقه.

ولهذا خلق الله السموات والأرض، وخلق الأنس والجن، وخلق الأشياء جميعاً. فالتمييز بين الأشياء سنة الله في خلقه لغرض مهم وهو التعارف بينها. فالجاهل لا يهتدي إلاَّ بعلم العالم، الذي سخر جهده ووقته من أجل تبصرة هؤلاء، ومن أجل انقاذهم من مغبة تصرفاتهم الحمقى، فالعالم بمثابة النور الوضاء في ظلمة الليل البهيم فبه يهتدي كل ضال، ليصل إلى شاطئ الأمان سليماً معافى، وهل هناك أفضل ممن ينقذ الناس من الضلال إلى الرشاد والخير.

---

(70) هود : 24 .

(71) تفسير الطبري ج7 ص 26 .

(72) ينظر : فتح القدير : ج2ص710 .

(73) غافر : 58 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ۞ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ ۞ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ ۞ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ﴾ (74).

ففي هذه الآيات يفرق الله عز وجل بين شيئين متضادين لا يمكن أن يتساويا لا من قريب ولا من بعيد، بين الأعمى والبصير، وبين النور والظلام، وبين الظل البارد والظل الحار، وبين الحي والميت، وبين العالم والجاهل.

والله عز وجل يضرب الأمثال لحكمة بالغة، ويبين المسميات ليهتدي المخلوق إلى سلوك السبيل القويم، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (75).

قال ابن كثير (رحمه الله): **(يقول تعالى كما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة كالأعمى والبصير لا يستويان، بل بينهما فرق وبون ساشع، وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور، كذلك لا تستوي الأحياء ولا الأموات وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات)**.. إلى أن قال: **(فالمؤمن بصير سميع في نور يمشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون، والكافر أعمى وأصم في ظلمات يمشي لا خروج له منها، بل هو يتيه في غيه وضلاله في الدنيا والآخرة حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم، وظل من يحموم لا بارد ولا كريم)** (76).

فتلك الأمثال التي يضربها القرآن الكريم كدلالة على التمييز بين الأشياء وكدلالة على الطريق الموصل إلى من هو أفضل وأحسن، فالقرآن يسمي الأشياء بمسمياتها، ويحث الأمة أيضاً أن تسمي الأشياء بمسمياتها فهو المعلم لأحسن الأمور وسيدها.

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (77).

---

(74) فاطر : 19-22 .

(75) البقرة : 31 .

(76) تفسير ابن كثير : ج3 ص 530 .

(77) إبراهيم : 24-26 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فعن أنس بن مالك ﷺ يقول أتى النبي ﷺ بقناع عليه بسر فقال: **((مثلُ كلمة طيبة كشجرة طيبة)) هي النخلة، ((وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ)) هي الحنظل.** قال شعيب: فأخبرت بذلك أبا العالية فقال: (هكذا كنا نسمع إسناده رجاله ثقات) (78).

ففي هذا المثال يفرق الباري جل في علاه بين شيئين متضادين، الأول: حسن، والثاني: قبيح، كدلالة على أنهما ليس بمتساويين، فالمسلم المحسن كالنخلة الشامخة المنتجة التي لا تؤثر فيها عوامل المناخ والتعرية، وغيره كمثل الشجرة التي لا فائدة منها في حياة البشر، بل سرعان ما تتأثر بالظروف المناخية.

قال الله تعالى: **﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرَضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾** (79).

وكأن هذا المثل الذي ضربه الله عز وجل يرفع من شأن المؤمن الصادق، ويحط من شأن الكافر كما يقول الحكيم الترمذي (رحمه الله): **(ضرب المثل لنوره في قلب المؤمن، ليعلمه قدره ومنزلته، فدلّه بالحاضر على ما أعد له في الآجل، فنفس المؤمن مثل بيت، وقلبه مثل قنديل، ومعرفته مثل السراج، وفمه مثل الباب، ولسانه مثل المفتاح، والقنديل معلق فيه، دهنها من اليقين، والفتيلة من الزهد، وزجاجها من الرضا، وعلائقها من العقل، إذا فتح المؤمن لسانه بإقرار ما في قلبه، فاستضاء المصباح من كونه إلى عرش الله تعالى، فكلامه نور، وعمله نور، وباطنه نور، ومدخله في الأعمال نور، ومخرجه منها نور ومصيره يوم القيامة إلى النور)** (80).

---

(78) ينظر : الأمثال في الحديث النبوي لأبي عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان – الدار السلفية – بومباي – الهند ط2 / 1987م – تحقيق : د . عبد العالي عبد الحميد حامد ص 408 .

(79) النور : 35 .

(80) انظر : الأمثال من الكتاب والسنة لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي ، دار ابن زيدون – بيروت ط1 /1985 – تحقيق : د . السيد الجميلي .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

3. الرجل النافع هو الأولى بالصحبة والمشاورة من غيره:

قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (81).

إن هذا المثل الذي ضربه الله عز وجل يعتبر منارة طريق، ونوراً وضاءً يتلالأ لكلِّ من أراد أن يختار الصاحب الطيب والصادق، وكأنك بمن له صاحب مشاكس، فإنه لا يجد طعم الراحة والود حتى يدعه، فهذه العلاقة لا تستوي البتة أمام من يتخذ صاحباً صادقاً طيباً وديعاً، فهو له خير في حله وترحاله، ويغبطه كل من ابتلي بصحبة سيئة. إذاً لا يستويان، فهو ميزان مبارك لكل من أراد أن يتخذ صاحباً يعينه على نوائب الدهر.

4. أهل الإيمان والعلم مقدمون على غيرهم في تولية المناصب والمسؤوليات:

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(82) في هذه الآية دلالة على أن أهل العلم مترلتهم عند الله رفيعة ومتميزة، فيرفعهم الله بهذا التمييز الدرجات الرفيعة العالية. قال ابن عباس ﷺ: **(للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام)** (83)، قال ابن كثير في تفسيره هذه الآية: (أي خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه، قال الإمام أحمد: إن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب بعسفان وكان عمر استعمله على مكة، فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي ؟ قال: استخلفت عليهم ابن أبزي رجل من موالينا، فقال عمر: استخلفت عليهم مولى ؟ فقال يا أمير المؤمنين إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض قاص، فقال عمر ﷺ أما إن نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم قد قال: **((إن الله يرفع بهذا الكتاب قوماً ويضع به آخرين))**، وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهري به (84).

---

(81) الزمر : 29 .

(82) المجادلة : 11

(83) مختصر منهاج القاصدين ص 21 .

(84) انظر : تفسير ابن كثير : ج4 ص 326 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

5. أهل العلم والصلاح أكثر خشية من الله من غيرهم في كل شيء:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (85). في هذه الآية دلالة على أن العلماء الربانيين هم أشد خشية وخوفاً من الله عز وجل من غيرهم، لأنهم أكثر معرفة به سبحانه، فمنزلتهم عند الله رفيعة وجليلة، وهم يتفوقون بدرجتهم عمن دونهم، ويتميزون بهذه المزية دون سواهم، لهذا امتدحهم رب العالمين، وخصهم بهذه المنزلة العظيمة.

6. مثل العالم العامل والعالم غير العامل:

قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِين حُمِلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(86)، هذا توصيف متميز وميزان آخر يبين الله من خلاله حال الذين يحملون العلم ولكنهم لم يعملوا بمقتضاه، أو يعملون ظاهراً ولكنهم خربوا بواطنهم، فلا فائدة منهم تذكر، لأنهم عرفوا وأنكروا.

قال ابن كثير (رحمه الله): (يقول الله ذاماً لليهود الذين أُعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً أي كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أُوتوه حفظوه لفظاً ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أوّلوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالاً من الحمير، لأن الحمار لا فهم له وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها ولهذا قال الله تعالى في الآية الآخرى ﴿أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَام بَلْ هُمْ أَضل أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلونَ﴾)(87).

7. مثل العالم الصالح والعالم الفاسق:

وذكر الله عز وجل مثلاً آخر في سورة الأعراف عن عالم من بني إسرائيل لم ينفعه علمه، فشبه بالكلب الذي إن تحمل عليه يلث أو تتركه يلهث، بمعنى أنه لم يستفد من علمه شيئاً بل إن الشيطان اتبعه فكان من الغاوين، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا

---

(85) فاطر : 28.

(86) الجمعة : 5 .

(87) تفسير ابن كثير : 4/ 364 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾[88].

فهذا الصنف من العلماء يُضل عباد الله، وربما يقودهم إلى النار وإلى الخراب والدمار.

وقد ذكر الإمام المقدسي أصنافاً أخرى من هؤلاء العلماء الضآلين فقال: **(ومنهم فرقة أُخرى أحكموا العلم والعمل الظّاهر، و لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا الصفات المذمومة منها، كالكبر والحسد والرياء، وطلب العلو، وطلب الشهرة، فهؤلاء زينوا ظاهرهم، وأهملوا بواطنهم، ونسوا قوله ﷺ: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))** [89]) [90].

ثانياً – السنة النبوية:

واما السنة النبوية فقد استخدمت ألفاظاً متعدده للتمييز بين العالم وغيره للدلالة على أن العلماء وأهل الفضل هم أفضل من غيرهم، ونذكر منها ما يأتي:

1. **فضل العالم على العابد**: فعن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **((فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم))**، ثم قال رسول الله ﷺ: **((إن الله وملائكته، وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير))** [91].

ففي هذا الحديث دلالة على أن فضل العالم على العابد كبير جداً، وفضله كفضل النبي ﷺ على غيره من البشر، والمعيار الأوحد هو العلم وليس إلاَّ العلم، لأن العالم هو الذي ينوّر للعابدين طريقهم إلى الله سبحانه وتعالى، وهو الذي يحذرهم من مكائد الشيطان ومكره، وتبيان الطريق الصحيح منوط بأهل العلم، لهذا تميز العالم عن العابد بهذا المعيار.

---

(88) الأعراف : 175-176.

(89) روام مسلم برقم (525) ، وأحمد : 285/2 ، وابن ماجه برقم (4143) .

(90) رواه أبو داود برقم (3641) والدارمي : 98/1 ، وأحمد : 196/5 ، والترمذي برقم (2684) ، وله شواهد يتقوى بها كما في الفتح : 169/1 ، والحديث حسن .

(91) رواه الترمذي برقم (2686) وقال حديث حسن . والحديث في إسناده ضعف ، ورواه الدارمي : 88/1 عن مكحول بإسناد حسن مرسل ، و : 97/1 – 98 عن الحسن البصري بإسناد حسن مرسل أيضاً فيتقوى بهما . ينظر : مختصر منهاج القاصدين ص 21 – الهامش .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال: **((فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر))** (92).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد))** (93).

فهذا الحديث يدل على أن فقيهاً واحداً أشد على الشيطان من كثير من العابدين، لأن العالم يعرف مسالك الشيطان فيحذِّر الناس منها، بينما العابد لا يعرف شيئاً، لأنه جاهل بها، فقد يقع هو في حبائله ولا يستطيع التفلت منها إلاَّ بعد أن يدله العالم على كيفية التخلص منها.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((.. وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب))** (94). وذلك لأن القمر أشد ضياءً ولاسيما إذا كان بدراً تماماً، وأقرب إلى الأرض من النجوم التي لا يرى لها نوراً إلاَّ وميضـــــاً يسيراً.

هذا هو فضل العالم عن غيره من البشر.

2. <u>الرجل المناسب في المكان المناسب</u>: قال ﷺ: **((إذا وُسِّدَ الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة))** (95)، فالرجل المناسب في المكان المناسب، فلا تسند الوظيفة إلاَّ لمن هو أهل لها، لغرض أن تبرز كفاءته وصفاته، فالنبي ﷺ اعتذر لأبي ذر رضي الله عنه لما طلب منه أن يستعمله، بل حذره من خطر ذلك عليه مما عرفه عنه ﷺ، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **((يا أبا ذرٍّ إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمَّرَنَّ على اثنين ولا تَوَلَّيَنَّ مال يتيم))** (96)، وعنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعمِلُني ؟

---

(92) مختصر منهاج القاصدين ص 304 .

(93) رواه ابن ماجه في المقدمة : 81/1 ، رقم الحديث (222) .

(94) رواه الترمذي : 48/5 ، وابن ماجه : 81/1 ، وأحمد : 196/5 ، الدارمي : 110/1 ، والحديث صحيح .

(95) رواه البخاري : 3/1 رقم الحديث (59) .

(96) رواه مسلم برقم (1826) . ومعنى (لا تأمرن) : لا تتولين ، ومعنى (لا تولين) : لا تتولين .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فضرب بيده على منكبي ثم قال: **((يا أبا ذرٍّ إنك ضعيفٌ، وإنها أمانةٌ، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامةٌ إلاَّ مَنْ أَخَذها بحقها، وأدَّى الذي عليه فيها))** (97).

وقد يكون الرجل حسن السيرة معروف بين الناس بأخلاقه وفضائله لكنه ليس أهلاً لتولي المناصب العامة، فلو أعطي له منصباً معيناً فسيؤدي به إلى عواقب سيئة، فالحديث معناه أنه أذا أنيط لرجل منصباً، ولم يكن أهلاً لقيادته فسيؤول إلى خراب وإلى دمار، وانتظار الساعة يعني: خراب ذلك الشيء.

وفي حديث آخر يرويه الحاكم بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: **((مَنْ استعمل رجلاً من عصابة – أي طائفة – وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين))**، ويعرف هذا الشخص من خلال حسن تصرفه، وصيت سمعته بين المسلمين، وقد ظهر ذلك عياناً، واشتهر بفضائله بينهم، فهذا يقدم على غيره.

3. <u>الإمارة والمسؤولية لا تعطى لمن سألها</u>: فعن أبي سعيد عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((يا عبد الرحمن بن سُمرة: لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعطيتها عن غير مسألة أُعِنتَ، وإن أُعطِيتها عن مسألة وُكِلْتَ إليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأْتِ الذي هو خيرٌ وكفِّر عن يمينك))** (98).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمِّي فقال أحد الرجلين: يا رسول الله أَمِّرنا على بعض ما ولَّاك الله عز وجل، وقال الآخرُ مثل ذلك، فقال: **((إنَّا والله لا نُوَلِّي على هذا العمل أحداً سأله، وأحداً حَرَصَ عليه))** (99).

وقد استثنى العلماء مَن طلبها وهو كفئ لهذه الوظيفة العامة الموثوق به أشد الوثوق والمعروف بإمانته وصدقه ونزاهته وقوته، بحيث يقوم بها أحسن قيام دون أن يترلق في مزالق المحرمات، وأن يكون الزمان زمان فتن واضطرابات كما طلبها نبي الله يوسف عليه

---

(97) رواه مسلم برقم (1825) .

(98) رواه البخاري 110/13 ومسلم برقم (1652) .

(99) رواه البخاري 112/13 ومسلم 1456/3 رقم الحديث (14) في الباب ، النسائي : 224/8.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السلام، قال تعالى كما في سورة يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[100].

4. <u>الرجل النافع في مجتمعه مقدم على غيره</u>: وعن أبي موسى ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها اجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، و لم يقبلْ هدى الله الذي أرسلت به))** [101].

فعلى كل من ولاه الله إمارة المسلمين واحتاج إلى وزراء، فعليه أن يختار أشخاص أكفاء لكل منصب من أجل تحقيق الرقي والبناء.

5. <u>حامل القرآن منزلته مقدمة على الآخرين</u>: فعن جابر ﷺ أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد يعني في القبر، ثم يقول: **((أيهما أكثر أخذاً للقرآن))**، فإذا أشـــير إلى أحدهما قدمه في اللحد [102].

فالنبي ﷺ جعل العلم معياراً للتفضيل بين اثنين، ولعمري إنه لمقياس وميزان أمثل في تصنيف الناس لغرض إنزالهم المنزلة اللائقة بهم، لأن العلماء كواكب يهتدي بهم الحيران، فإبليس يتربص لهؤلاء الحيارى ويضع أمامهم العراقيل والمغريات والشهوات، لأجل إيقاعهم في السيئات والأثم، بينما نجد مصابيح الدجى (العلماء) يدلون الناس إلى تلك العراقيل والشهوات، ليحذروا منها، فسبحان الله ما أفضلهم وما أبركهم، فكم من متبع لإبليس انقذوه وأنجوه.

فعن أبي مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن**

---

(100) سورة يوسف الآية 54 .

(101) رواه البخاري : 160/1 ، 161 ، ومسلم : 1787/4 ، وأحمد : 399/4 .

(102) رواه أحمد بإسناد حسن : 323/5 ، والهيثمي في المجمع : 338/1 وقال : إسناده حسن .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً، ولا يؤمَّن الرجلُ الرجلَ في سلطانه ولا يقعد في بيته على تكرمته إلاَّ بإذنه)) (103).

6. <u>أصحاب العقول والمواهب في الصدارة في تصنيف الناس ولاسيما في الصلاة التي هي آكد الفرائض</u>: فعن ابن مسعود ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: ((استووا ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)) (104).

فهؤلاء مقدمون على غيرهم في الصلاة وغيرها، لأن الأمة لا تنهض إلاَّ بهم، فإذا أُهملوا فإن المجتمع لن يستقيم حاله ولن يواكب الأمم في رقيها وتطورها التي تعتمد في حركتها وبنائها على العقول وأهل العلم.

7. <u>اتِّباع العلماء وأهل الفضل في زمن الملمات والفتن من الضروريات في دفعها والسيطرة عليها</u>: فعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((اللهم لا يدركني زمان ولا تدركوا زماناً لا يتبع فيه العليم، ولا يستحي فيه من الحليم، قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب)) (105).

8. <u>رجل يساوي ألف رجل، ورجل لا يساوي رجلاً</u>: فعن ابن عمر ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: ((إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعلقة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت)) (106).

قال الإمام النووي في شرحه للحديث: (قال ابن قتيبة الراحلة النجيبة: المختارة من الأبل للركوب وغيره، فهي كاملة الأوصاف، فإذا كانت في إبل عرفت، وقال الأزهري: الراحلة عند العرب الجمل النجيب، والناقة النجيبة، قال: والهاء للمبالغة كما يقال: رجل فهامة ونسابة، ومعنى الحديث: أن الزاهد في الدنيا الكامل في الزهد فيها والرغبة في الآخرة قليل جداً، كقلة الراحلة في الأبل، هذا كلام الأزهري وهو أجود من

---

(103) رواه مسلم : 465/1 ، أبو داود : 215/1 ، والترمذي : 458/1 ، وأحمد : 121/4 .

(104) رواه مسلم : 323/1 ، والنسائي : 89/2 ، وأحمد : 122/4 ، والنهى : أصحاب العقول : العلماء .

(105) رواه أحمد برقم (23032) ، والحاكم في مستدركه : 555/4 .

(106) رواه البخاري : 1920/4 ، ومسلم : 1974/4 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كلام ابن قتيبة وأجود منهما قول آخرين: إن معنـــــاه المرضي الأحوال من الناس الكامل الأوصاف الحسن المنظر) [107].

فكم من شخص يساوي ألف شخص في علمه وتدبيره ودوره في البناء والإنتاج، وقد قيل: **(رجل يساوي ألف رجل، ورجل لا يساوي رجلاً)**. وقال الجاحظ: **(لأنا قد نجد الرجل يوزن بأمة، ونجد الأمة لا تساوي قلامة ظفر ذلك الرجل)** [108].

فهذا الحديث يميز بين رجلين، رجل كأُمة ورجل لا يساوي شيئاً من حيث مسؤوليته ودوره في الإصلاح والبناء والنشاط الإجتماعي.

ثالثاً – أقوال الصحابة والسلف ﷺ في إنزال الناس منازلهم:

أردنا في هذه الفقرة أن نركز على أقوال سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم كميزان لتصنيف الناس، لأنهم كانوا ينظرون بنور الله، ويضعون الشيء في محله، فقد جعلوا القرآن والسنة النبوية الصحيحة هما منهجهم في حلهم وترحالهم، لهذا نالوا السمعة والصيت الطيب بين المسلمين، وفيما يأتي نذكر بعضاً من أقوالهم:

1. يؤثر عن عبد الله بن عباس ﷺ أنه كان يأخذ بركاب زيد بن ثابت ﷺ، ويقول: **(هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا)**، وقال: **(ثلاث من توقير جلال الله، إكرام ذي الشيبة في الإسلام، وحامل كتاب الله، وحامل العلم صغيراً كان أو كبيراً)** [109].
2. وعزل عمر بن الخطاب ﷺ شرحبيل بن حسنة عن الشام، وولى معاوية بن أبي سفيان بدلاً عنه، قال شرحبيل لعمر: لِمَ عزلتني ؟ هل رأيت شيئاً في ديني ؟ قال عمر ﷺ: لا والله إنك كما أحب، **ولكنني أريد رجلاً أقوى من رجل**، كأنه رأى فيه ضعفاً، قال شرحبيل: فأخبر الناس حتى لا تكون فيهم مقالة، فخطب عمر الناس وأعلمهم بذلك.

---

(107) شرح النووي على مسلم : 101/16 .

(108) الأمثال والحكم العربية في خدمة الداعية ص 15 .

(109) ينظر : نشر طي التعريف في حملة العلم الشريف ص 59 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالإسلام ينظر في الرجل أنه كلما علت منزلته في المجتمع كان سبباً في زيادة مسؤوليته ومهمته، فالمجتمع المسلم يحتاج إلى الرجل القوي الذي لا تهزه المواقف والصعاب، ويستطيع أن يدير الأزمات ولا يقف أمامها عاجزاً مضطرباً، هكذا كان يفعل عمر بن الخطاب ﷺ في إختيار عناصره في إدارة الدولة والمرافق الحيوية.

3. وعن ابن عباس ﷺ قال: **(من آذى فقيهاً فقد آذى رسول الله، ومن آذى رسول الله فقد آذى الله عز وجل)** [110].

4. وقال الإمام علي بن أبي طالب ﷺ: **(إن من حق العالم عليك: أن تسلِّم على القوم عامة وتخصه بالتحية، وأن تجلس أمامه، ولا تعينه في الجواب، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرته، ولا تقول له سمعت فلاناً يقول كذا ولا أن فلاناً يقول بخلافك، ولا تضعن عنده عالماً، فإنما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيئاً)** [111].

5. وقال كعب الأحبار: **(وطالب العلم بين الجهال كالحي بين الأموات)** [112].

6. وقيل لأحد الفلاسفة تراك تحب أستاذك أكثر من أبيك قال: **(أبي سبب حياتي الفانية، وأستاذي سبب حياتي الباقية)** [113].

7. وذكر أن الإمام الشافعي ﷺ كان يقول: **(كنت أُصفح الورق بين يدي الإمام مالك صفحاً رقيقاً هيبة لئلا يسمع وقعها)** [114].

8. وقال الفضيل: **(اتبعوا فقد كفيتم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ)**، قال الذهبي: **(إذا كان مثل كبراء السابقين الأولين فقد تكلم فيهم الروافض والخوارج، ومثل الفضيل يُتكَّلم فيه، فمن الذي يسلم من ألسنة الناس، لكن إذا**

---

(110) ينظر : نشر طي التعريف في حملة العلم الشريف : 59 . ذكره الخطيب في كتاب الفقيه والمتفقه .

(111) مختصرمنهاج القاصدين : 7 .

(112) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(113) انظر : كتابنا : (حياة عالم الأنبار) مقدمة الشيخ صبحي الهيتي : 2.

(114) انظر : تربية الأولاد : 408/1 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثبتت إمامة الرجل وفضله، لم يضره ما قيل فيه، وإنما الكلام في العلماء مفتقر إلى وزن بالعدل والورع... وهل يراد من العلم إلاَّ ما انتهى إليه الفضيل (رحمة الله عليه) [115].

سيرة عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) في إنزال الناس منازلهم:

لقد أنزل عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) الناس مترلتهم الطيبة الحسنة، ولاسيما العلماء، ففي عهده اتسعت مشاركته للعلماء في مختلف الميادين بشكل لم يسبق له مثيل في الدولة الأموية، ويرجع ذلك إلى سببين أساسيين:

الأول – حرصه (رحمه الله) على تقريب العلماء وجعلهم بطانته ووزراءه وأعوانه.

والثاني – وهذا السبب يتعلق بالعلماء أنفسهم، حيث لم ير أي أحد منهم لنفسه مبرراً في البعد عنه والمشاركة في إعانته على أمور الحكم، فمن الواجب على العلماء تحمل أعباء المسؤولية التي تلقى على عواتقهم، ولم يعد لمعتذر عذر، بل أقبلوا عليه لما علموا من صلاحه وإخلاصه [116].

ومن قول العلماء في عمر بن عبد العزيز، كما نقل عنهم ابن عساكر في تاريخه: **(ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله)** [117].

لقد أسهم العلماء في مساعدة عمر بن عبد العزيز في السير في منهجه الإصلاحي حيث أيدوه فيما اتخذه من قرارات إصلاحية كما كان لبعضهم أثر في اتخاذ عمر لبعض تلك القرارات، فمن ذلك: فقد أُثر عن العالم عرَّاك بن مالك الغفاري المدني – أحد علماء التابعين – أنه طلب منه انتزاع جميع الأموال التي حازها بنو أمية من الفيء والمظالم من أيديهم، وقد تعرض هذا العالم بعد وفاة عمر إلى غضب بني أمية فنفاه يزيد بن عبد الملك بعـــــد توليه الخلافة إلى جزيرة في بحر اليمن وبقي فيها إلى أن مات [118].

---

(115) انظر : سير أعلام النبلاء : ج8 ص448 .

(116) عمر بن عبد العزيز للصلابي ص 163 نقلاً عن أثر العلماء في الحياة السياسية ص 114 .

(117) مختصر تاريخ ابن عساكر ، نقلاً عن أثر العلماء في الحياة السياسية ص 197 ، وعمر بن عبد العزيز للصلابي ص 163 .

(118) وهي جزيرة ضيقة حرجة تسمى (دهلك) حيث كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها ، وقد انتفع أهل هذه الجزيرة من علم هذا العالم حتى توفي فيها في أمرة يزيد بن عبد الملك عام 104 هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء : 64/5 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومنهم أيضاً العالم العامل ميمون بن مهران، فقد كان من المقربين إلى عمر بن عبد العزيز يقول عن نفسه: **(ما زلت ألطف في أمر الأمـــة وأنا وعمر بن عبد العزيز حتى قلت له: ما شأن هذه الطوامير التي تكتب فيها بالقلم الجليل وهي في بيت المال، فكتب إلى الآفاق لتركه)** [119].

ومن تواضعه (رحمه الله) أنه كان يطلب من العلماء توجيهه نحو ما ينفع الأمة، فقد شهد عهده أكبر عدد من الرسائل التوجيهية وجهت إليه، فقد ذكر بعضها الدكتور الصلابي في كتابه عمر بن عبد العزيز [120] وهي:

1. موعظة العالم الجليل محمد بن كعب القرظي قال له: **(يا أمير المؤمنين افتح الأبواب، وسهل الحجّاب، وانصر المظلوم، ورد الظالم).**
2. وموعظة العالم القاسم بن مخيمرة قال له: **(بلغنا أن من ولي على الناس فاحتجب عن فاقتهم وحاجتهم احتجب الله عن فاقتـــه وحاجته يوم يلقاه، قال عمر: فما تقول: ثم أطرق طويلاً وبرز للناس).**
3. وموعظة العالم الرباني الحسن البصري: **(أما بعد: يا أمير المؤمنين، فكن للمثل أخاً وللكبير ابناً وللصغير أباً، وعاقب كل واحد منهم بذنبه على قدر جسمه، ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتدخل النار).**
4. وموعظة العالم سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ: **(... فإنه كان قبلك رجال سدوا على الناس أبواب الرخاء، فلم يسدوا منها باباً إلاَّ فتح الله عليهم باب بلاء، فإن استطعت – ولا قوة إلاَّ بالله – أن تفتح على الناس أبواب الرخاء فافعل، فإنك لن تفتح باباً إلاَّ سد الله الكريم عنك باب بلاء يمنعك من نزع عامل أن تقول لا أحد يكفيني عمله، فإنك إن كنت تتزع لله وتستعمل لله أتاح الله لك أعواناً فأتاك بهم)** وجاء فيها أيضاً: **(فمن بعثت من عمالك إلى العراق فانهه نهياً**

---

(119) سير أعلام النبلاء : 133/5 .

(120) ص 165 نقلاً عن أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية ص 199 ، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجـــوزي ص 113 ، 103 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شديداً بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء إلاَّ بحقها، المال المال يا عمر والدم فإنه لا نجاة لك من هول جهنم من عامل بلغك ظلمه ثم لم تغيره).

العلمـــاء الذين كلفهم عمر بن عبد العزيز بمهـــام ومسؤوليات الدولة الإسلامية [121]:

ولإهتمام عمر بالعلماء ولمكانتهم في قلبه كلفهم بمهام وأعباء الدولة الإسلامية، ومن العلماء الذين شاركوه العمل نذكر بعضهم:

1. ولى ميمون بن مهران على خراج الجزيرة.
2. وولى الإمام الفقيه الثقة عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب على ولاية الكوفة.
3. وولى العالم القدير أبا بكر بن عمر بن حزم على المدينة المنورة.
4. وولى الإمام الكبير إسماعيل بن أبي المهاجر على أفريقية.
5. وولى الفقيه المحدث عدي ابن عدي الكندي على الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان.
6. وولى القاضي عبادة بن نسي بن وابصة العبدي على الرقة.
7. وولى العالم وهب بن منبه على بيت مال اليمن.
8. وولى الثقة الصالح صالح بن جبير الصداني على الخراج لعمر.

ورعه وخوفه من الله عز وجل:

لقد اتصف عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) بالورع الشديد والخوف من الله سبحانه وتعالى، فقد دخلت عليه زوجته فاطمة عند توليه الخلافة فرأته يبكي، فسألته عن سبب بكائه، فقال لها: ويحك يا فاطمة، إني وليت أمر هذه الأمة ففكرت في الفقير الجائع،

---

(121) ينظر : عمر بن عبد العزيز للصلابي ص 166 : نقلاً عن : سير أعلام النبلاء : 213/5 ، مختصر تاريخ دمشـــق 32/16 ، المعرفة والتاريخ 645/1 ، أثر العلماء في الحياة السياسية ص 201 ، 202 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمريض الضائع، والعاري المجهود، واليتيم المكسور، والمظلوم المقهور، والغريب، والأسير، والشيخ الكبير، والأرملة الوحيدة، وذي العيال الكثير والرزق القليل وأشباههم في أقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة وأن خصمي دونهم محمد ﷺ فخشيت ألا تثبت لي حجة فلذلك بكيت.

فمن كان هذا ورعه وخوفه من الله، ألا ينبغي له أن يترل الناس منازلهم، ويضع الشيء في محله.

الأصنافُ التي يجب أن يحذرَهم المسلم في الوقوع بحبائلهم وأن ينزلهم المنزلة التي تليق بهم:

أولاً- الكفار والمشركون وأصحاب البدع والأهواء: ففي هؤلاء ضياع الدين وتنكب سبيل الشيطان، **فالكفار والمشركون:** هؤلاء لا يرجون لك خيراً، بل يسعون بكل ما أوتوا من قوة للقضاء عليك، فاحذرهم قاتلهم الله أنا يؤفكون، وفيما يأتي بعض أقوال أعداء الإسلام ليعلم كل مسلم كم هم يكيدون للإسلام وأهله ومن أقوالهم:

1. قال المبشر (تاكلي): (يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تماماً، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً) [122].
2. وقال أحد المسؤولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام 1952: (إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً عنيفاً هو الخطر الإسلامي....، فلنعط هذا العالم ما يشاء، ولنقوِّ في نفسه عدم الرغبة في الانتاج الصناعي والفني، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة، وتحرر العملاق من عقدة عجزه الفني والصناعي، أصبح خطر العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطراً داهماً ينتهي به الغرب، وينتهي معه دوره القيادي في العالم) [123].

---

(122) روائع إسلامية : 91/2 .

(123) المصدر نفسه : 85/2 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

3. وقال فيليب فوانداسي: (إن من الضروري لفرنسا أن تقاوم الإسلام في هذا العالم، وأن تنتهج سياسة عدائية للإسلام، وأن تحاول على الأقل إيقاف انتشاره) [124].

4. وقال البرمشادور: (من يدري ؟ ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين، يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية، وفي الوقت المناسب) [125].

وأما أصحاب البدع والأهواء: فهم لا يقلون شأناً عن الكفار والمشركين في ضياع الدين، لأنه ما ظهرت بدعة إلاَّ حلت محل سنة، وما ذهبت سنة إلاَّ حل محلها بدعة، وأهل الأهواء؛ هؤلاء لا همَّ لهم إلاَّ تحقيق ما يسعون إليه إرضاءً لدنياهم ولأنفسهم، فهم على مناحٍ شتى ومتعدده، وفي ما يأتي أقوال بعض أهل العلم في أصحاب البدع والأهواء:

1. قال ابن المبارك (رحمه الله): **(ليكن مجلسك مع المساكين، وإيَّاك أن تجلس مع صحاب بدعة)** [126].

وقال أيضاً: **(عجبت لشيطان أتى الناس داعياً إلى النار، وانشقَّ اسمه من جهنم)**، أي أنه يحذرهم من الشيطان وحبائله وإغوائه، لأنه داعياً إلى النار بدعايته المشينة، فهلا اتخذتموه عدواً أيها المسلمون، كما قال الله عنه: **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾** [127].

2. وقال الفضيل (رحمة الله): **(من أحب صاحب بدعة، أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه، لا يرتفع لصاحب بدعة إلى الله عمل، نظرُ المؤمن إلى المؤمن يجلو القلب، ونظرُ الرجل إلى صاحب بدعة يورث العمى، من جلس مع صاحب بدعة لم يُعطَ الحكمة)** [128].

---

(124) المصدر نفسه : 31/2.

(125) المصدر نفسه : 49/2 .

(126) انظر : سير أعلام النبلاء : ج8 ص399 .

(127) المصدر نفسه : ج8 ص411 ، والآية (6) من سورة فاطر .

(128) المصدر نفسه : ج8 ص435.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

3. وقال وكيع (رحمه الله): **(من طلب الحديث كما جاء، فهو صاحب سنة، ومن طلبه ليُقَوِّيَ به رأيه فهو صاحب بدعة)** [129].

4. وقال ابن المديني (رحمه الله): قال عبد الرحمن: **(اترك من كان رأساً في بدعة يدعو إليها)** [130].

5. وقال أيضاً: **(أتيت أحمد بن عطاء يوماً، فوجدت معه درجاً يُحدِّث به، فقلت له: أسمعت هذا ؟ قال: لا ولكن اشتريته وفيه أحاديث حسان أحدث بها هؤلاء، فقلت أما تخاف الله ؟ تُقَرِبُ العباد إلى الله بالكذب على رسول الله ﷺ)**، قال الذهبي: **(ما كان الرجل يدري ما الحديث، ولكنه عبد صالح، وقع في القدر، نعوذ بالله من ترهات الصوفية، فلا خير إلاَّ في الإتباع، ولا يمكن الإتباع إلاَّ بمعرفة السنن)** [131].

6. وقال بشر بن الوليد (رحمه الله): سمعت أبا يوسف يقول: **(من طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب الدنيا بالكلام تزندق، ومن تتبع غريب الحديث كُذِّب)** [132].

7. وقال الإمام الشافعي (رحمه الله): **(لأن يلقى الله العبد بكل ذنب إلاَّ الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الأهواء، وقال أيضاً: كل متكلم على الكتاب والسنة فهو الجدُّ، وما سواه فهو هذيان)** [133].

8. وقال محمد بن داود (رحمه الله): **(لم يحفظ في دهر الشافعي كلِّه أنه تكلم في شيء من الأهواء، ولا نسب إليه، ولا عرف به، مع بغضه لأهل الكلام والبدع)** [134].

9. وقال الإمام الشافعي (رحمه الله): **(مذهبي في أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط وتشريدهم في البلاد).** يقول الذهبي: لعل هذا متواتر عن الإمام [135].

---

(129) المصدر نفسه : ج9 ص144.
(130) المصدر نفسه : ج9 ص199 .
(131) المصدر نفسه : ج9 ص409 .
(132) المصدر نفسه : ج8 ص537 .
(133) المصدر نفسه : ج10 ص16 و20 .
(134) المصدر نفسه : ج10 ص26 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

10. وقال ابن تيمية (رحمه الله): **(فالرسول ﷺ بيَّن الأصول الموصلة إلى الحق أحسن بيان، وبيَّن الآيات الدالة على الخالق سبحانه، وأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، ووحدانيته على أحسن وجه... وأما أهل البدع من أهل الكلام والفلسفة ونحوهم فهم لم يثبتوا الحق، بل أصلوا أصولاً تناقض الحق، فلم يكفهم أنهم لم يهتدوا ولم يدلّوا على الحق حتى أصلوا أصولاً تناقض الحق، ورأوا أنها تناقض ما جاء به الرسول ﷺ، فقدموها على ما جاء به الرسول، ثم تارة يقولون: الرسول جاء بالتخييل، وتارة يقولون: جاء بالتأويل، وتارة يقولون: جاء بالتجهيل..)** (136).

ثانياً – المراؤون والكذّابون وَأهل النفاق: الذين قال عنهم رب العزة والجلال: **﴿يُرَاؤُونَ النَّاسَ ولاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاءِ﴾**(137)، فهؤلاء يعملون العمل لا يبتغون به وجه الله عز وجل، إنما غايتهم العظمى إرضاء الناس والتقرب إليهم، فهم يراؤون ويكذبون، لأجل تحقيق مصالح معينة لهم، قال رسول الله ﷺ: **((قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركتُهُ وشركَهُ))** (138)، وإنما يُعرفون بلحن القول، فأقوالهم تحمل في طياتها الكذب والتملق والتذبذب، قال تعالى: **﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾**(139).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ ناساً قالوا له: إنَّا ندخلُ على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم ؟ قال ابن عمر رضي الله عنهما: **(كنا نعدُّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ)** (140).

وقال النبي ﷺ: **((من سَمَّعَ سَمَّعَ الله به، ومن يرائي يُرائي الله به))** (141).

---

(135) المصدر نفسه : ج10 ص29 .

(136) التفسير الكبير : ج6 ص422 .

(137) النساء : 142 -143 .

(138) رواه مسلم برقم (2985) .

(139) محمد : 30 .

(140) رواه البخاري : 149/13 ، 150 .

(141) رواه البخاري : 288/11 ، ومسلم برقم (2987) و (2986) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد شرح الإمام النووي (رحمه الله) هذا الحديث: ((سَمَّعَ)) بتشديد الميم، ومعناه: أظهر عمله للناس رياءً ((سَمَّعَ الله به)) أي: فضحه الله يوم القيامة، ومعنى: ((من راءى)) أي: من أظهر للناس العمل الصالح لِيَعْظُمَ عندهم ((راءى الله به)) أي: أظهر سريرته على رؤوس الخلائق [142].

وقال الإمام المقدسي: **(ثم العجب من مغرور يطلب الدنيا بالثياب الرفيعة، والخيول الفارهة ونحو ذلك، وإذا خطر له خاطر الرياء قال: إنما غرضي بهذا إظهار العلم والعمل لإقتداء الناس بي ليهتدوا إلى الدين، ولو كان هذا قصده لفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به، لأن من كان قصده صلاح الخلق يفرح بصلاحهم على يد من كان، وكذلك من يدخل منهم على سلطان، ويتودد إليه، ويثني عليه، ويتواضع له ويقول: إنما غرضي بهذا أن أشفع في مسلم أو أدفع عنه الضرر، والله يعلم أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند السلطان لثقل عليه ذلك)** [143].

ثالثاً – المغرورون وأهل المجون والفسق والفواحش والمعاصي: وما أكثرهم، والمقصود بهم الذين يجاهرون بفسقهم وفحشهم، فلا يبالي أحدهم من أن يفعل الفاحشة عياناً جهاراً، فهم لا يستحيون من الله عز وجل ولا من الناس، وأما الذين يستترون بفحشهم، فهؤلاء أمرهم يرجع إلى الله، فلا ينبغي للمسلم أن يفضحهم ويكشف سترهم، ونسأل الله لهم الهداية والتوبة، قال النبي ﷺ: **((كل أمتي معافى إلاَّ المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يُصبحَ وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه))** [144].

قال ابن بطال (رحمه الله): **(في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي التستر بها السلامة من الاستخفاف، لأن المعاصي تذل فاعلها، ومن إقامة الحد عليه إن كان فيه حد، ومن**

---

(142) رياض الصالحين ، ص 481 .

(143) مختصر منهاج القاصدين ص 305 .

(144) رواه البخاري : 405/10 ، 406 ، ومسلم برقم (2990) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التعزير إن لم توجب حداً، وإذا تمحض حق الله، فهو أكرم الأكرمين، ورحمته سبقت غضبه، فلذلك إذا ستره في الدنيا لم يفضحه في الآخرة، والذي يجاهر يفوته جميع ذلك) (145).

وقال المقدسي (رحمه الله): **(فمنهم من اقتصر على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات، وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لصلاح المعايش، وربما ضيّعوا الأعمال الظاهرة وارتكبوا بعض المعاصي من الغيبة والنظر إلى ما لايحل، والمشي إلى ما لا يجوز، ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء، وجميع المهلكات، فهولاء مغرورون من وجهين: أحدهما: من حيث العمل، والآخر: من حيث العلم، ومثالهم مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه، لا بل مثلهم مثل من به علة البرسام – هو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة – وهو مشرف على الهلاك، فاشتغل بتعلّم دواء الاستحاضة وجعل يكرر، وذلك غاية الغرور)** (146).

وهناك من العلماء من اقتصر علمه على مجادلة الآخرين، لغرض إفحاهم والانتصار عليهم، وأكثر علمه يرتكز على المسائل الخلافية، ليقال عنه: إن هذا العالم قد أفحم الآخرين بعلمه وبآرائه وقد قيل، ومن هذا النوع الكثير في أيامنا هذه، لهذا جاء الحديث النبوي الشريف، فعن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **((ما ضلَّ قومٌ بعد هُدى إلاَّ أُوتوا الجدل))** (147).

قال المقدسي (رحمه الله): **(ومن هؤلاء من اقتصر على علم الخلاف، ولم يهمه إلاَّ طريق المجادلة، والإلزام، والإفحام، ودفع الحق لأجل الغلبة، فهو أسوأُ حالاً ممن ذكر قبلهم، وجميع الجدل في الفقه بِدعة لم يعرفها السلف)** (148).

---

(145) انظر : فتح الباري : 406/10 .

(146) مختصر منهاج القاصدين ص 307 .

(147) رواه أحمد : 552/5 ، والترمذي برقم (3306) ، وابن ماجه برقم (48) ، والحاكم : 447/2 ، وآخرين بإسناد صحيح .

(148) مختصر منهاج القاصدين ص 307 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خلاصة القول:

نخلص من خلال هذه الموازين الثلاثة إلى أن العلماء على مختلف اختصاصاتهم ولاسيما علماء الشريعة أنهم المقدمون على غيرهم في تصنيف الناس إذا ابتغوا وجه الله عز وجل، ثم أهل الفضل ممن لهم دور بارز في نصرة الدين ورقي أوطانهم نحو محاسن الأمور، ثم يأتي طلبة العلم في الدرجة الثانية، وتشمل أيضاً كل من كان ماهراً مبدعاً منتجاً في مجالات تصب في مصلحة دينه ووطنه وأخلص لله غاية الإخلاص، وبهذا نستطيع بعد هذا التصنيف إنزال الناس منازلهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الثالث

الدمَّارُ وَالخرابُ في عدمِ إنزالِ النَّاسِ مَنازِلهم

إن حلول ونزول الدمار والخراب في أي أمة من الأمم، وفي أي شعب من الشعوب، إنما يكون بسبب عدم اعتمادهم الميزان القويم في إعطاء كل ذي حق حقه، وإنزال كل شخص منزلته، ويتجلى ذلك في:

1. أنهم لم يستخدموا عقولهم في التمييز بين الضار والنافع، والحق والباطل، والصحيح من السقيم. إنما استخدموها في إتباع الضلال، لأن مساحته توفر لهم إسقاط أهل الحق والفضل.
2. وأنهم قد غرقوا في الشهوات والملذات إلى ذقونهم، فلم يكن ليخطر ببالهم سوى إرضاء ما تمليه عليهم نفوسهم المريضة، وبهذا ساروا وراء الشيطان ووراء كل ناعق، فاتبعوا أهوائهم، ونسوا أن هناك ناس هم الأولى بقيادة الحياة منهم.
3. والأمر الآخر أنهم كانوا يرون في اتباع الحق ضياع كل ما بنوه من تسلط وطغيان وزعامة، ونسوا أن أعمارهم قصيرة، وأن حبل الظلم قصير مهما طال الزمان.
4. والأمر الأشد والأنكى من ذلك أن يتولى إمارة الناس أناس فاشلون في حياتهم ومن أصحاب العاهات العقلية، ومن العقول التي لم تتمرس على حسن السلوك، و لم تتخذ من الفضلاء والقدوات الحسنة الاقتداء والإتباع، فكان ما كان من ضياع الحقوق، قال الله تعالى قاصاً عن يوسف (عليه السلام) أنه قال للملك: **﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾** (149)، وهنا يتجلى في هذه الآية أن الكفوء إذا طلبها لا بأس أن تعطى له بشرط أن يكون معروفاً بين الناس بتراهته وكفائته، وإلاَّ فلا، ورحم الله الذهبي إذ قال: **(قال هلال بن خنَّاب: قلت لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس ؟ قال: إذا ذهب علماؤهم)** (150).
5. وهؤلاء الضلّال لم يتمكنوا من تولية المناصب إلاَّ برعاية يهودية أو نصرانية، فاليهود والنصارى يهيئون الحكَّام ويربونهم ويعدونهم، ثم ينصبونهم على المسلمين،

---

(149) سورة يوسف : 55 .

(150) سير أعلام النبلاء : ج4 ص326 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فماذا سيكون وماذا سيحل، لا محالة سيكون دماراً وخراباً وتنكيلاً، وهذا ما نراه اليوم في عموم الوطن العربي والإسلامي.

6. ثم أن معاداة أولياء الله عز وجل من قبل أي أمة تكون سبباً آخر يضاف إلى الأسباب الأخرى في هلاكها ودمارها، قال ﷺ: **((إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً، فقد آذنته بالحرب...))** (151).

فمن ذلك نقول: إن عدم إنزال الرسل والأنبياء والمصلحين من العلماء والفضلاء وأهل العلم منازلهم وذلك باتباعهم والتسنن بهديهم والسير على نهجهم سبب مباشر في الخراب والدمار.

فهذه الثلة المباركة من الأنبياء والفضلاء هي خير من مشى ويمشي على هذه الأرض، لأنهم مبعوثون من الله سبحانه في هداية الناس نحو الأفضل والأحسن، فهدفهم ينصب في إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله عز وجل، ومن الظلال إلى النور، ومن الشقاء إلى النعيم، ومن السيء إلى الحسن، وهل هناك شيء أسمى وأنبل من هذا المبتغى..

وكل هذا وذاك؛ فإن تلك الأمم والشعوب لم تستجب لدعوتهم، بل وصل بهم الأمر إلى أن قتلوهم ومثلوا بجثثهم واستخدموا معهم كل أنواع التنكيل والاستهزاء والسخرية، كزكريا ويحيى وموسى والمسيح وغيرهم (عليهم السلام)، فكان عاقبة ذلك أن غضب الله عز وجل عليهم فدمَّرهم شر تدمير وقطع شأفتهم، قال تعالى: **﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيب ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ..... وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾** (152).

---

(151) رواه البخاري : ج8 ص131 برقم (6502) .

(152) إبراهيم : 9 -13 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولو تصفحنا تأريخ الأمم السابقة لوجدنا أن خرابها حدث بسبب ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوماً آخَرِينَ.... قَالُوا يَا وَيلَنَا إِنَّ كُنَّا ظَالِمِين ۞ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ﴾ (153).

ونذكر من أحوال أنبياء الله ورسله مع أقوامهم ما يأتي:

1. قوم نوح وتكذيبهم رسولهم عليه السلام:

فالأمة التي أرسل الله عز وجل فيها نوحاً عليه السلام كما يقص لنا القرآن الكريم لم ترعوي لدعوته، بل تصدت له ونسبت إليه السفه والكذب، قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(154)، وقابلوه وقومه بشتى أنواع الاستهزاء والسخرية، قال الله تعالى مبيناً مستوى طغيانهم: ﴿إِنِّي كُلَّمَا دَعَوتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ واسْتَغْشَوا ثِيَابَهُمْ وَأَصرُوا وَاسْتَكْبَرُوا إِسْتِكْبَاراً﴾(155).

قال ابن كثير: (يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أنه اشتكى إلى ربه عز وجل ما لقي من قومه وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلاَّ خمسين عاماً وما بيَّن لقومه ووضح لهم ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم، فقال (رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراَ) أي لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار امتثالاً لأمرك وابتغاءً لطاعتك (فلم يزدهم دعائي إلاَّ فِرَاراً) أي كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فرّوا منه وحادوا عنه (وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم) أي سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوهم إليه..) (156).

فكان عاقبتهم أن الله عز وجل أغرقهم بسبب كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم، وعدم إحترامهم له وكان معروفاً بينهم بالعلم والخلق الرفيع والمعاملة الحسنة، فلم يكن لهم من معين ولا مغيث يدفع عنهم نقمة الله عليهم، فكان الخراب والدمار.

---

(153) الأنبياء : 11 – 15 .

(154) هود : 32 .

(155) نوح : 7 .

(156) تفسير ابن كثير : 425/4 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

2. قوم إبراهيم وتكذيبهم رسولهم عليه السلام:

فرسول الله إبراهيم عليه السلام هو الآخر لم يتزله قومه حق مترلته بل كذبوه وحاربوه ووقفوا أمام دعوته، فكان عاقبتهم أن دمرهم الله عز وجل وخرب ديارهم، فكانوا عبرة لغيرهم، وقد قص القرآن علينا في أكثر من موضع تفاصيل حالهم مع نبي الله إبراهيم، ولاسيما سورة العنكبوت فقد فصلت في حاله مع قومه، نذكر منها:

قال الله تعالى: ﴿وَأَبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞..... فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (157). فهذه الآيات تكفي كدلالة إلى ما حل بهم من دمار وخراب بسبب طغيانهم وعدم اعترافهم به عليه السلام.

3. قوم لوط وتكذيبهم نبيهم عليه السلام:

وأما نبي الله لوط عليه السلام فقد واجه من قومه كل أنواع السخرية والاستهزاء، لأنه نصحهم بترك المنكر الذي كانوا عليه من اتيان الذكران من العالمين، و لم يكن هذا الفعل له سابقة في الأمم السالفة، وكذلك نهاهم عن قطع الطريق، وفعل المنكر في ناديهم جهاراً نهاراً، قال الله تعالى مبيناً ما كانوا يفعلون: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَومِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۞ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا جَوَابَ قَومِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، فلم يكن بمقدور هذا النبي الكريم من قوة إلاَّ أن يتوجه إلى الله عز وجل بالدعاء وطلب النصرة في القضاء عليهم بعد أن استنفد كل ما لديه من وسائل الدعاية والتوجيه والنصح والإرشاد ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (158)، فاستجاب الله دعاءه فقطع شأفتهم، لأنهم لم يتزلوا هذا النبي مترلته قال تعالى: ﴿إِنَّ مُنْزِلُونَ عَلَى أَهلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانوا يَفْسِقُونَ﴾(159)، ونوع العذاب الذي سلطه الله عليهم أن جعل أعلى

---

(157) الآيات 16 و24 و25 .

(158) العنكبوت : 36-38 .

(159) العنكبوت : 33 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قريتهم أسفلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد، أي وما هي من الذين يعملون نفس العمل ببعيد.

4.قوم شعيب وهود وصالح عليهم السلام وتكذيبهم قومهم لهم:

يكفينا في هذا المقام ما ذكره الله عز وجل في المعاناة التي واجهها أنبياء الله شعيب وهود وصالح (عليهم السلام) من قومهم مع ذكر العذاب الذي سلطه الله عليهم، قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلا تَعْثَوا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ وَعَاداً وَثَمُودَاْ وَقَدْ تَّبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾[160].

فتلك الأقوام وقفت أمام دعوة هؤلاء الأنبياء موقف العداوة والأنداد، وواجهوهم بشتى أنواع الاستهزاء والسخرية والتصدي، فما كان من الله عز وجل إلاَّ أن سلط عليهم غضبه وبأسه فأذاقهم العذاب الأليم فكان ما كان من الخراب والدمار، لماذا هذا كله، لأنهم لم يتزلوهم منازلهم التي أرادها الله سبحانه لهم.

5.قوم موسى عليه السلام وتكذيب قومه له:

إن من المعلوم لدى القاصي والداني أن موسى عليه السلام كانت له قصة طويلة مع فرعون وجنوده، والتي بدأت معه منذ الطفولة حتى هلاك فرعون في اليمِّ، وقد ذكر القرآن هذه القصة في أكثر من موضع في كتابه العزيز، ومن أراد تتبع القصة فعليه أن يتعرض لكتب التفسير، ففيها القول الفصل لهذه القصة الطويلة، ويكفينا أن نذكر قوله تعالى من سورة يونس: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرعَونَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ۞ قَالَ قَدْ أُجِيبت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[161].

---

(160) العنكبوت : 36-38 .

(161) يونس : 88-89 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فكان مصيره هو وقومه بعد هذا الدعاء الغرق، قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَونُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ ءَآلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ فَالْيَومَ نُنَجِيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (162).

فكان عاقبة تلك الأمم التي كذبت الرسل الهلاك والدمار، لأنها لم تستجب لدعوة أنبيائهم ورسلهم بعبادة الله الواحد الأحد، وترك الظلم والذنوب والمعاصي التي كانوا يفعلونها، فكانت العقوبات التي عاقبهم الله عز وجل بها على أشكال مختلفة وكل حسب ذنبه، قال تعالى: ﴿فَكُلاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (163).

إذن هذا هو مصير وعاقبة من لم يترل الناس منازلهم، وما هي من الظالمين ببعيد، ونحن إذ نأمل من هذه أمتنا في الوقت الحاضر والتي هي امتداد لأمة الحبيب المصطفى ﷺ التي قال عنها رب العزة والجلال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَونَ عَنْ الْمُنْكَرِ﴾ أن تحذو حذو أصحاب رسول الله ﷺ في إعطاء كل ذي حق حقه، وأن لا تحذوا حذو الأمم السابقة في تكذيبهم الأنبياء والرسل (عليهم السلام) وعدم إنزالهم منازلهم، حتى لا يصيبهم ما أصابها، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً﴾(164)، والله أعلم وأجل.

---

(162) يونس : 90-92 .

(163) العنكبوت : 40 .

(164) الأحزاب : .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكوارث والدمار في العالمين العربي والإسلامي بسبب عدم إنزال الناس منازلهم:

إن ما يدور اليوم من كوارث ودمار في العالمين العربي والإسلامي ومنذ حقب زمنية بعيدة وغابرة، إنما يعود إلى ضعف التقييم والتصنيف، وعدم استخدام الميزان القويم في توزيع المهام والمسؤوليات، وعدم إعطاء المناصب المهمة لمن يستحقها، فالتنافس ليس في محله، وليس لأجل الرفعة بالبلاد والأوطان، وإنما التنافس لأجل الهوى والتسلط والركض وراء الملذات الدنيوية، فكان من نتائج ذلك أننا أصبحنا من أضعف الأمم وأوهنها، فتسلط علينا الأعداء ونالوا منا ما نالوا، فأصبحنا لقمة سائغة تلوكها الأفواه النتنة، فانظر إلى الدول الإسلامية والعربية المغتصبة من قبل اليهود والصليبيون والفرس، كيف هو حالها ووضعها من الخراب والدمار.

لهذا كان على المسلمين لزاماً أن يعطوا الموضوع أهمية بالغة وقصوى، وأن ينتبهوا إلى تحقيق التنافس الحق، وتمييز الغث من السمين والطيب من الخبيث ولا يكونوا كهيشات الأسواق، لإنتشال الغرقى من مستنقع الخراب والاضمحلال والدمار.

ولما كانت الأمة في رقيها وعزها دان لها الشرق والغرب بكل مقدارته، فتبعية الغرب الكافر للأمة الإسلامية ظلت فترة طويلة، فقد ذكر الشيخ النعمة أن كتاب (المنصوري) للرازي تُرجم إلى اللغة اللاتينية، وظلت الجامعات الأوربية تُدرس هذا الكتاب حتى القرن السابع عشر الميلادي، وكذلك كتاب الحاوي، حيث كان تأثيره في الأوساط الأوربية كبيراً جداً وظلت أوربا تنتفع به حتى مطلع العصر الحاضر، وكتاب (الجدري والحصبة) للرازي هو الآخر طبع بترجمته اللاتينية أربعين طبعة حتى عام 1866م [165].

وقال الوزير الفرنسي (المسيو ميلي) في المدنية العربية: **(إنَّ معالم بغداد وقرطبة العلمية كانت منابع للأنوار الساطعة عندما كانت معالمنا منحية على الجهل المطبق، فكل العلوم وكل الصنائع، وكل الفنون كانت تأتي من الشرق، وإن زهرة التمدن النفسية المحفوظة في**

(165) روائع إسلامية – المقدمة : 5/2 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أوانيها الجميلة الأنيقة كقصر (إشبيلية) وحمراء (غرناطة) لم تزل تخجلنا حتى بعد اضمحلال العربية) [166].

وقال المستشرق الفرنسي الدكتور (غستاف لوبون): (كان تأثير العرب في الغرب عظيماً، وإليهم يرجع الفضل في حضارة أوربا.. وتأثيرهم بتعاليمهم العلمية والأدبية والأخلاقية عظيماً، ولا يتأتى للمرء معرفة التأثير العظيم الذي أثره العرب في الغرب إلاَّ إذا تصورنا حالة أوربا في الزمن الذي دخلت فيه الحضارة، وإذا رجعنا إلى القرنين التاسع والعاشر الميلادي يوم كانت المدنية الإسلامية زاهرة باهرة، نرى أن المراكز العلمية الوحيدة في عامة بلاد الغرب كانت عبارة عن مجموعة أبراج يسكنها سادة نصف متوحشين يفاخرون بأنهم أميون لا يقرأون ولا يكتبون، وكانت الطبقة العالية المستنيرة في النصرانية عبارة عن رهبان فقراء جهلة يقضون الوقت بالتكسب في ديرهم بنسخ كتب القدماء وليبتاعوا ورق البردي اللازم لنسخ كتب العبادة، ولما شعرت بعض العقول المستنيرة قليلاً بالحاجة إلى نفض كفن الجهل الثقيل الذي كان الناس ينوءون تحته طرقوا أبواب العرب يستهدونهم ما يحتاجون إليه، لأنهم كانوا وحدهم سادة العلم في ذلك العهد) [167].

وقال الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر: (إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم) [168].

هذا هو تاريخنا وهذه هي حضارتنا، وحتى نعود إلى سالف مجدنا.. أقول أنزلوا الناس منازلهم، والله المستعان فهو حسبنا وإليه المرجع والحساب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(166) المصدر نفسه : 21/2 .

(167) المصدر نفسه : 31/2 .

(168) المصدر نفسه : 29/2 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهرس المصادر

1. **أعلام الموقعين عن رب العالمين:** ابن قيم الجوزية، (ت751هـ)، راجعه وقدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت.
2. **الأمثال في الحديث النبوي** لأبي عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان – الدار السلفية – بومباي – الهند ط2 / 1987م – تحقيق: د. عبد العالي عبد الحميد حامد.
3. **الأمثال والحكم العربية في خدمة الداعية** للشيخ سفر أحمد الحمداني، مطبعة أنوار دجلة، العراق، بغداد.
4. **الأمثال من الكتاب والسنة** / الحكيم الترمذي / دار ابن زيدون – بيروت – ط (1) سنة 1985م، تحقيق د. السيد الجميلي.
5. **أدب الدين والدنيا** / للماوردي.
6. **تأريخ دمشق:** أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت 571 هـ)، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
7. **تأريخ الإسلام:** الذهبي، (ت748هـ)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، صالح مهدي، د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1408 هـ.
8. **الترغيب والترهيب:** للحافظ ابي محمد زكي الدين عبد العظيم عبد القوي المنذري، (ت656هـ)، ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة، دار الفكر.
9. **تفسير القرآن العظيم:** إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، أبو الفداء.
10. **تفسير (الكبير)** للإمام الطبري.
11. **التفسير الكبير** لابن تيمية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

12. **تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك:** للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي، دار الندوة الجديدة، بيروت.

13. **حياة عالم الأنبار:** حامد شاكر العاني، مطبعة القبس، بغداد.

14. **الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية:** د. صادق أمين، دار الدعوة.

15. **روائع إسلامية:** ابراهيم النعمة، ج2 ط1، مطبعة الزهراء، موصل.

16. **الروض الداني، المعجم الصغير:** سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ط1، 1405 هـ - 1985 م.

17. **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين:** للإمام يحيى بن شرف الدين النووي، (ت617هـ)، حققه وخرج أحاديثه – عبد العزيز رباح واحمد الدقاق، راجعه – الشيخ شعيب الأرنؤوط، دار المأمون للتراث، مكتبة المنار، ط1، عام1409هـ.

18. **زاد المعاد من هدي خير العباد خاتم النبيين وإمام المرسلين:** الإمام ابن قيم الجوزية، (ت751هـ)، المطبعة المصرية.

19. **زبدة التفسير من فتح القدير** / محمد الأشقر.

20. **سنن ابن ماجه:** للإمام الحافظ ابي عبد الله بن يزيد القزويني (ت275هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار احياء الكتب العربية، 1975، مطبعة دار احياء التراث العربي.

21. **سنن الترمذي (الجامع الصحيح):** لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، (ت297هـ)، تحقيق ابراهيم عطوة، عرض شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

22. **سنن أبي داود:** للإمام الحافظ ابي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت275هـ)، تعليق عزة عبيد الدعاس، عادل السيد، دار الحديث، حمص، سوريا.

23. **السنن الكبرى:** للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (ت458هـ)، دار الفكر.

24. **سنن النسائي (المجتبى):** للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي، (ت303هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي بمصر، ط 1383هـ.

25. **سنن النسائي الكبرى:** للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي، (ت303هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البيداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1411 هـ - 1991 م.

26. **سنن الدارمي:** للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، (ت255هـ)، تحقيق فؤاد أحمد زمزلي، خالد السبع العلمي، دار الريان، ط 1 عام1407هـ.

27. **سير أعلام النبلاء:** للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت748هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط9 عام 1413هـ.

28. **سيرة ابن هشام**، القاهرة، 1355 هـ -1936م.

29. **شرح العقيدة الطحاوية:** للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، (ت792هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه د. عبد الله عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

30. **شعب الإيمان:** أبو بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1410 هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

31. **صحيح البخاري**: للإمام الحافظ أبي عبد الله بن محمد بن اسماعيل البخاري (ت256هـ)، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب، الناشر دار المعرفة، بيروت.

32. **صحيح مسلم**: للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية (استنابول).

33. **صحيح الترغيب والترهيب**: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط 5.

34. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**: محمد بن حبان أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1414 هـ - 1993م.

35. **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام كمال الدين بن حنبل الشيباني**: أحمد عبد الرحمن البنا، دار الشهاب بالقاهرة.

36. **فتح القدير**.

37. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، 1379 هـ.

38. **الفوائد الذهبية**: جمع وترتيب: أبو عبد الله بن فرج الشريف – مطبعة أنوار دجلة.

39. **في ظلال القرآن**: سيد قطب، دار احياء التراث العربي، بيروت.

40. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، 1412 هـ.

41. **مختصر منهاج القاصدين**: للإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدمي، علق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، 1398هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

42. **المستدرك على الصحيحين:** محمد بن عبد الله، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1411 هـ - 1990م.

43. **مسند الإمام أحمد:** للإمام أبي عبد الله احمد محمد بن حنبل، (ت241هـ)، النشر والطبع دار الفكر العربي.

44. **مسند أبي يعلى:** أحمد بن علي بن المثنى، أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأ مون للتراث، دمشق، ط 1، 1404 هـ - 1984 م.

45. **المصفى من صفات الدعاة:** عبد الحميد البلالي، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط6، مصر.

46. **مصنف عبد الرزاق:** عبد الرزاق بن همام الصنعاني، أبو بكر، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1403 هـ.

47. **مصنف ابن أبي شيبة:** أبو بكر، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتب الرشد، الرياض، ط 1، 1409 هـ.

48. **المعجم الكبير:** سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، 1404 هـ - 1983 م.

49. **المعجم الأوسط:** سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1415 هـ.

50. **نشر طي التعريف في حملة العلم الشريف:** محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن عبد الله الحبيشي، دار المنهاج - جدة - الطبعة الأولى 1997م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

==========المؤلف في سطور==========

هو: حامد شاكر محمود الشقاقي العاني.

- ولد في محافظة الأنبار قضاء الرمادي بجمهورية العراق سنة 1957م.
- حفظ القرآن الكريم وَجَوَّدَه، حتى حصل على الإجازة الإقرائية بقراءة عاصم ينتهي سندها إلى رسول الله ﷺ، وعلى الإجازة برواية السوسي عن أبي عمرو البصري من الشيخ عبد اللطيف العبدلي، وحصل أيضاً على إجازة إقرائية بثلاث قراءات هي قراءة نافع المدني براوييه ورش وقالون، وقراءة ابن كثير براوييه البزي وقنبل، وقراءة أبي عمرو البصري براوييه السوسي والدوري من الشيخ محمود الكرخي.
- حصل على شهادة البكلوريوس في القانون والشريعة الإسلامية، والماجستير في القانون والشريعة بالبحث الموسوم (إدارة واستثمار أراضي المقابر الوقفية المندرسة).
- عمل مدرساً لمادة التجويد في مراكز تحفيظ القرآن الكريم في الرمادي، ولازال مستمراً بإعطاء الدروس في التجويد والقراءات.
- قرأ عليه العديد من القراء بقراءة عاصم بروايتي حفص وشعبة.
- مَنَحَ الإجازة الإقرائية لعدد من القراء بروايتي حفص وشعبة.
- شارك في عدد من المسابقات القطرية والمحلية كمتسابق ومُحَكِّم.
- يعمل حالياً موظفاً في مديرية الوقف السني في محافظة الأنبار، ومكلفاً بالإمامة والخطابة.
- شغل عدة وظائف إدارية كمسؤول لشعبة الإرشاد، وشعبة الإفتاء، ومقرر للمجلس العلمي، وشعبة الموقوفات، والشعبة القانونية، كلها في مديرية الوقف السني في محافظ الأنبار.
- عضو ومقرر للمجلس العلمي في محافظة الأنبار.
- دَرَسَ الفقه وأصوله، وعلوم اللغة من نحو، وصرف، وبلاغة، وعلم الفرائض ومصطلح الحديث على عدد من كبار المشايخ في الرمادي وبغداد وسوريا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- عضو جمعية القراء والمجودين في محافظة الأنبار. وعضو الرابطة العالمية للقراء والمجودين.
- عضو هيئة تحرير مجلة (الأمة الوسط) التي تصدر عن الديوان الوسطي في ديوان الوقف السني – العراق، ومجلة (نسائم الإيمان) التي تصدر من قبل ديوان الوقف السني – العراق.
- له عدة مؤلفات:

1- الدروس التربوية المستفادة من قول رسول الله ﷺ (ليس منا)، مطبوع.
2- حياة عالم الأنبار الشيخ العلامة عبد الجليل إبراهيم الهيتي، مطبوع.
3- من أقوم أساليب التربية والتعليم في دورات القرآن الكريم، مطبوع.
4- رسالة الأذان، مطبوع.
5- دعوة صادقة إلى صلاة الفجر، مطبوع.
6- دليل هداية الأسرة المسلمة، مطبوع.
7- الذب بالقول الفصل عن الثقة من أهل العلم والنقل (تحت الطبع).
8- آفة الاختلاف المذموم وهل من مصلحتنا أن نختلف (تحت الطبع).
9- السعود في قراءة عاصم بن أبي النجود براوييه شعبة وحفص وأوجه الخلاف بينهما. مطبوع في مركز الدراسات والبحوث ديوان الوقف السني في العراق.
10- الخشية من الله سبحانه، مخطوط.
11- سر الله في النمل – تحت الطبع.
12- الإلقاء الصوتي في الرَّوم والإشمام والاختلاس والإخفاء والإخفات – تحت الطبع.
13- إدارة واستثمار أراضي المقابر الوقفية المندرسة – تحت الطبع.
14- الميزان في تبرئة كاتب الرسول ﷺ معاوية بن أبي سفيان من المزاعم والبهتان (مخطوط).

- له عدة بحوث ومقالات منها:

– دعوة صادقة إلى كل موظف غيور.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- الشيخ عبد العليم السعدي رئيساً للمجلس العلمي في محافظة الأنبار.
- المبدئية واللامبدئية.
- جنت على نفسها أمريكا.
- مطوية بفضائل شهر رمضان.
- مطوية لقد جاءكم رسول من أنفسكم.
- العولمة الاقتصادية – دراسة قانونية تاريخية.
- مقالات عديدة في مجلات وصحف عراقية.

- المشاريع المستقبلية:

1- تحفة المقري في قراءة أبي عمرو البصري براوييه الدوري والسوسي وأوجه الخلاف بينهما.

2- بغية المقتني لقراءة نافع المدني براوييه قالون وورش وأوجه الخلاف بينهما.

3- الدُّر الوفير في قراءة المكي ابن كثير براوييه قنبل والبزي وأوجه الخلاف بينهما.

4- ليظهره على الدين كله، ملخص عودة الإسلام وبشارات عودته.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهرس المواضيع

المقدمة.....

المطلب الأول – تصنيف الناس إلى مراتب.....

- الصنف الأول: العلماء وأهل الفضل.....
- الصنف الثاني: طلبة العلم والعلماء.....
- الصنف الثالث: الجهلة والمتخلفون.....

المطلب الثاني – الميزان الذي تزن به الناس.....

أولاً – القرآن الكريم.....

ثانياً – السنة النبوية.....

ثالثاً – أقوال العلماء.....

عمر بن عبد العزيز وإنزال الناس منازلهم.....

العلماء الذين كلفهم عمر بن عبد العزيز بمهام ومسؤوليات الدولة.....

ورعه وخوفه من الله عز وجل.....

الأصناف التي يجب أن يحذرهم المسلم.....

- الكفار والمشركون وأصحاب البدع والأهواء.....
- المراؤون والكذَّابون وأهل النفاق.....
- المغرورون وأهل المجون والفسق والفواحش والمعاصي

المطلب الثالث – الدمار والخراب في عدم إنزال الناس منازلهم.....

1. قوم نوح عليه السلام.....
2. قوم إبراهيم عليه السلام.....
3. قوم لوط عليه السلام.....
4. قوم شعيب وهود وصالح عليهم السلام.....
5. قوم موسى عليه السلام.....

الكوارث في العالمين العربي والإسلامي.....

فهرس المصادر.....

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المؤلف في سطور.....
فهرس المواضيع.....